المملكة العربية السعودية
جامعة الرياض

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ....: الرقم Date ....: التاريخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٣٩٧٣ خ - ٢٨١/٣
العنوان المواهب اللدنية في المنح المحمدية ج ٢
المؤلف أحمد بن محمد القسطلاني
[illegible] ت ٩٢٣
تاريخ النسخ
اسم الناسخ
عدد الأوراق ١٨٤ق
ملاحظات ٢٥ × ١٥،٥ سم مسطرة
٢٩ س
٨٩٠٤

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

(المواهب اللدنية في المنح المحمدية)، تأليف أحمد ٢١٩
ابن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي م٠ق
المصري، أبي العباس، شهاب الدين (٨٥١-٩٢٣هـ)
كتب في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا. ٣٩٧٢
ج٣ ١٥٤ ق مسطرته مختلفة ٢٠،٥×١٤،٥سم
نسخة حسنة، بها نقص في الأول والآخر والأثناء،
خطها نسخ حسن. طبع.
الاعلام ١: ٢٢١، الضوء اللامع ٢: ١٠٣
١- السيرة النبـ[ـو]ية أ- القسطلاني، أحمد بن
محمد ٩٢٣هـ ب- تاريخ النسخ.

Copyright © King Saud University

٢٩٧٣ جامعة الرياض المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

حاشا وقال برمي ۞ من انت مولاي حاشا

فان قلت فالجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت
في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال
فلطم — اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي فقال
اي خبيث وعلى محمد فجا اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث
ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا
مام — وحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى
وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب اجاب
الجواب الاول — العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق
بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياوه والتسوية بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم
افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان نعتقد ان الله تعالى
فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارائنا وقال ابن
ظفر فان اراد هذا القايل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارائنا فصحيح
ل — وان اراد انا لا نذكر في ذلك الا ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروى لنا من حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال اخر نفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة
الحظوة الثاني — والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المدبرين والصبر على الذين
والنهضة الى ادا الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك
وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال اخر مما ذكره القاضي عياض انه نهيه

الجواب الثالث

عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن
التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال الحافظ عماد الد ين
ابن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من
ذلك ثم رايت في تاريخ بن كثير ان وجه النظر ان هذا من رواية ابي سعيد وابي
هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام حنين متاخرا فيبعد انه لم يعلمه بها الا بعد
هذا وقال اخرا انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب — الرابع
قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا تفضلوا بينهم تفضيلا
يودي الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسا له — الخامس
فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيها على حد واحد لا يتفاضلوا وانما التفاضل — السادس
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا
تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم رسل واولو عزم
انتهى وهذا قريب من قول الثاني وقال ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد بذ لك
نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت المفضلية
بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق
ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم
يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد
اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى فهذه الفضيلة وجدت
بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس
ابن متى الا بالنسبة الى القرب من الله تعالى والبعد فمحمد صلى الله عليه وسلم وان
اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل

به

٢

به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله تعالى على حد واحد انتهى — سبحانه وتعالى
وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك ابن انس وعزى نحوه لامام الحرمين وقال
ابن المنير ان قلت ان لم يفضل على يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى وجود
الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى فضل الملا
الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا يفضله عليه الصلاة والسلام على يونس عليه السلا م
وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق
التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا
يحمل جمعا بين القواعد انتهى واختلف هل البشر افضل من الملايكة فقال جمهور
اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم الانبيا افضل من خواص الملايكة وهم جبر يل
وميكاييل واسرافيل وعزراييل وحملة العرش والمقربون والكروبيون
والروحانيون وخواص الملايكة افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالا جماع
بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل من عوام الملايكة فالمسجود له افضل من
الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام
فعوام الملايكة خدم عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المومنين
ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملايكة ركب فيهم
العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقايد
يحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوايق والموانع من الشهوة
والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك — سنوح
ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلا ص
فتكون افضل والمراد بعوام بني ادم هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه عليه
العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارة

قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من
البشر افضل من الرسل من الملائكة وان الاوليا من البشر افضل من الاوليا من
الملائكة انتهى وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة
وهو اختيار القاضي ابي بكر ابن الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه
الاول ان الملائكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة عن مبادي الشرور والآفات فائدة
كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولا والصورة قوية على الافعال العجيبة
عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول تخليط
الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر
يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب
ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب
والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة
والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى اخفى
وبالتقديم اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من
عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا
الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل بالفضل
بين عيسى عليه السلام وغيره من الانبيا عليهم السلام والجواب ان النصارى
استعظموا المسيح بحيث يرتفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان
يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
بخلاف ساير العباد من بني آدم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من
هو

هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن
الله على افعال اقوى واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى
فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الآثار القوية لا في مطلق الشرف
والكمال فلا دلالة على افضلية الملائكة انتهى ثم ان الملائكة بعضهم افضل من بعض
وافضلهم الروح الامين جبريل المزكى من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه
بسبع صفات وهو افضل الملائكة الثلاثة الذين هم افضل الملائكة على الاطلاق ق
وهم ميكايل واسرافيل وعزرائيل كما تقدم وكذلك الرسل افضل من الانبيا
وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبيا والرسل كما تقدم واول
الانبيا آدم وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة آدم فبالكتاب الدال
على انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا
السنة والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في
عدد الانبيا والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه
في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت
يا رسول الله من كان اولهم قال آدم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون آدم
وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من
العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل
موسى وآخرهم عيسى واول النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد روى هذا
الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم ابن حبان في كتاب الانواع والتقاسيم وقد
وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن
هشام

قال الجلال السيوطي عيسى اسم عبراني او سرياني نقله في الاتقان انتهى

هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والنقد
من اجل هذا الحديث والله اعلم وروي ابو يعلى عن انس مرفوعا كان نعيمن خلى من
اخوالي من الانبيا ثمانية الاف نبيهم كان عيسى ابن مريم ثم كنت انا والذين نص الله
تعالى على اسمائهم في القران هذا ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم
ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهرون
ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا
ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم وقال الله تعالى ورفعنا لك
ذكرك روي ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك
قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبرى وصححه ابن حبان
وروينا عن الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح معناه
لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال
الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل
ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى
وقيل رفعه بالنبوة قاله يحيى بن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكرى معك وعن جعفر
ابن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي
واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته
انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق
ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله
والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب

ولا

ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القران والخطب
والاذان ويؤذن باسمه في موقف القيامة واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
رفعه نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام فناداه بالاذان
الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث
وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر
واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت
اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة
عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله واخرج الطبراني من حديث
جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان ابن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد
رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم له الجزء الى علي الخالدي
وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من اسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمائه صلوات الله
وسلامه عليه وصلى عليه في ملائكته وامر المومنين بالصلاة عليه فقال تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى لانه يثني عليه عند الملائكة المقربين
وان الملائكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثنا عليه
من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وكتبه نبيا وادم بين الروح والجسد
وختم به النبوة والرسالة واعلن بذكره الكريم في الاولين والاخرين ونوه
بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل ذكره في فواتح الرسائل

ونوابها وشرف به المصاقع على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر
ذكره في الافاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف
الاقلام والعرش والكرسي وساير الملايكة المقربين من الكروبين والروحانيين والعلويين
والسفليين وجعله في قلوب المومنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم
وربما تميل من طرب سماع اسمه اشباحهم.

واذا ذكرتكموا اميل كانني . من طيب ذكركموا سقيت الراحا .

كانه تعالى يقول املا الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك
ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلاة الا ومعها سنة فهم متمسكون
في الفرايض بامري وفي السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك
فالقرا يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ
يبلغون بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من ورا الباب
عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق الى ابد الابد
والحمد لله رب العالمين قال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه
قولين احدهما انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة
ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب تسعة والها خمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها
يا ايها البدر وهذه الاقوال لا يجب ان نعتمد عليها اذ هي كما قاله المحققون من بدع المفسرين
ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على
قول من قال انها كلمة مفيدة ففيها وجهان احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن جبير
بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة

وقال البيضاوي

وقال البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرفوا
فيه بالقلب والاختصار وقيل معناه يا انسان وقرى طه باسكان الها
على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه فقد روي
انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا
الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها كما قالوا هيا في اياك
وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطى على ترك الهمزة فيكون اصله
طا يا رجل ثم اثبت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه كلاهما
والالف مبدلة من الهمزة والها كناية على الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة
الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا
احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انك لتشقى حيث تركت دين ابايك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة
للعالمين وانزل الله هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم
بل بعثت رحمة للعالمين بان دين الاسلام والقران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب
في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها
عليك حقا اي ما انزلنا عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل
حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه
وسلم ان فعل شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله

انتهى وقال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه
السدي معنى طه يا فلان وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم
قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصيغة ظاهر
لا يخفى في المستشهد به • شعر •

• ان السفاهة طه في خلايقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين •

انتهى قال في البحر وكان قد تقدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخرص وحزر •
على عك بالا تعول نحوى وهو انهم قلبوا اليا طا وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب •
يا التي للندا طا وكذلك حذف اسم الاشارة في الندا واقرت ها التي للتنبيه انتهى م

وعوا بهما وشرف به المصاقع
ذكره في الافاق شرقا وغربا
الاقلام والعرش والكرسي و
والسفليين وجعله في قلوب
وربما تميل من طرب سماع ا
• واذا ذكرتكموا اميل
كانه تعالى يقول املا الوجـ
ويحفظون سنتك بل ما من
في الفرائض بأموري وفي السـ
فالقرا يحفظون الفاظ منثو
يبلغون بليغ وعظك والملوك
عليك ويمحون وجوههم بتراب ر
والحمد لله رب العالمين قال تعالى
قولين احدهما انها كلمة مفيدة د
ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطـ
يا ايها البدر وهذه الاقوال لا تخـ
ومثلها قول الواسطي فيما حكا
قول من قال انها كلمة معنيه تفيـ
والحسن ومجاهد وسعيد
بلسان النبطية وقال قتادة

الواسطي

عن امره فهو من اسباب السعادة لا من اسباب الشقا وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون
المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفرهم فانا انزلنا عليك القران لتذكر به
من امن فمن امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفرهم فما عليك الا البلاغ وهذا
كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها
ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم
مقهورا مع اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة بل يعلو
امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل لتصير معظما
مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا قال تعالى انا اعطيناك الكوثر
السورة قال الامام فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها
انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة الضحى في مدح نبينا
صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته
وهي قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى
(اي غافلا من علم الاحكام والحكم فاعطاك علم الاولين والاخرين)
الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عايلا فاغنى ثم ذكر
في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة اشيا وهي الم نشرح
(اي دعا الناس جميعا الى الايمان)
لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك
وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة
(وامر الرسالة وتبليغها)
سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل
واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها واذا انعمنا عليك بهذه النعم
(اي بجميع اجزايها)

اي علم الحكمة والاحكام والهدى

فاشتغل

فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس
وهو قوله فصل لربك وانحر واما بالمال وهو قوله وانحر (البدن) وتامل قوله انا
اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا
حصل في الزمان الماضي قال عليه السلام كنت نبيا وادم منجدل في طينته
بين الروح والجسد ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب
اشرف ممن سيصير كذلك فكانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك
قبل دخولك في هذا الوجود فكيف نهمل امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا
يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك
بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب واختلف المفسرون في تفسير الكوثر
على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف
روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري وقيل الكوثر اولاده لان هذه
السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الاولاد وعلى
هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل
البيت ثم العالم ممتلي منهم ولم يبق من ذلك النبي من الانبيا غيره وقيل الكوثر
الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل الاسلام
(لان العلم والتبليغ والهداية)
ولا ريب انها من الخير الكثير فالعلما ورثة الانبيا كما رواه احمد وابو داود
والترمذي واما علما امتي كانبيا بني اسرايل فقال الحافظ ابن حجر ومن

ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم روي ابو نعيم في فضل العالم
العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم
المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير
الثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا والاول غير جائز
لانه قال انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل
الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو
العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم الثالث انه لما قال انا اعطيناك
الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة
ليس الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله على
نبيه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم
اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا روي ان سعيد بن جبير
لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر
في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه
قال الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب
ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله تعالى من النبوة والقران والذكر العظيم
والنصر على الاعداء واما الحوض وساير ما اعد له من الثواب فهو وان جاز

ان

ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة
ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطا ٥
الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر
لولده الصغير بشيء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك
الحال ليس اهلا للتصرف انتهى فقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة
ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال
نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم
قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيمة
انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري
ما احدث بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد
بالكوثر هو الحوض والمصير اليه اولى وهو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطا
هذا النبي الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما افاضه
عليه من نعمه الجسيمة وقد جرت عادة الله تعالى مع انبيايه عليهم السلام
ان يناديهم باسمايهم الاعلام نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسى انا الله
يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فناداه بالوصف الشريف من الانبيا والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها
الرسول ولله در القايل

الاغفا النوم الخفيف والايحا لا يكون مناما ... ولا ينزل بالوحي الا جبريل ولا يكون الا يقظة فيكون على ذلك غشي عليه ... عند نزول جبريل حتى صار كالنايم

ندعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا
عبيده بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا
السنية
اخرين باسمايهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق
ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن
دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه
كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى وانظر الى نحو قوله تعالى
واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى واضافته
اليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه
بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب
له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة الخبرية اذ هو في الحقيقة اعظم
خلفايه الاترى الى عموم رسالته ودعايه وجعله افضل انبيايه امهم
بهم ليلة الاسرا به وجعل ادم ومن دونه تحت لوايه وهو المقدم في اد منه
يوم القيمة
وسمايه وفي دار تكليفه وجزايه وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز
من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعه ذكره ما يقتضي
بانه استولى على اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة
قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبيا
تعظيما له مع تاخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى

يوم

يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد **النوع السابع اخذ الله له الميثاق على النبيين**
فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه

قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اخبر تعالى انه
اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم
ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى
اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم **وعن علي** بن ابي طالب
وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وهو حي ليومنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس
لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه
ان الانبيا عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد
صلى الله عليه وسلم ان يومنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله
الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند بعثته وكان الا
نبيا
عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا
فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويوكد هذا انه تعالى حكم
على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف
لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم **واجاب الفخر الرازي** بان يكون المراد
من الاية ان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه

[illegible]

وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه
لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والتهديد والفرض
وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم انهم لا يسبقونه بالقول وانهم يخافون ربهم
من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الاية
على ان الله تعالى لما اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف
هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي في هذه
الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون
نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبيا
واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة
لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا واما اخذ
له الميثاق على الانبيا ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي
المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتومنن به
ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي توخذ للخلفا ولعل
ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه
وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا

ولهذا

ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة
الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى
وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله
الميثاق عليهم فنبوته عليه السلام ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما
امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك لامر راجع الى وجودهم
لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه
على اهلية الفاعل فهاهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله
عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم
لزم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته
وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحد من هذه الامة نعم
هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما
يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكلما فيهما من امر
ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص
منه شي وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او زمان موسى
وابراهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي
صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل
واعظم وتتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته
فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على
سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم

في تلك الاوقات بالنسبة الى اوليك الامم ماجات به انبياوهم وفي هذا الوقت
بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات
وبهذا بان لنا معنى حديثين كان يخفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم
بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه لجميع
الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم
بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين
وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة
اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبول سماع الخطاب والجسد الشريف
الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت
كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل
توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح
في صحة الوكالة واهلية التوكيل انتهى **النوع الثالث في وصفه تعالى**
له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى
حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام عند بنا البيت الحرام ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت

العزيز

العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاوهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة
من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعا
فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم **فالجواب**
من وجوه **احدها** اجماع المفسرين وهو حجة **الثاني** قوله عليه السلام
انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية
وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد **الثالث** ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين
كانوا بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى مكة الا محمدا صلى الله عليه
وسلم وقد امتن الله على المومنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال
تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من
ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما
كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه
وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله تعالى الذي رضيه
لعباده **وقوله** من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرا
في الشواذ انفسهم بفتح الفا يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم
افضل من قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم **ثم قيل**
لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احيا العرب الا
وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم

اعظم فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب
شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية اجاب الشيخ ولي الدين بن العراقي
بانه شرط في صحة الايمان قالوا فلو قال شخص اومن برسالة محمد الى جميع
الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او من الملايكة او من الجن او لا ادري
هل هو من العرب او من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده
ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص
والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه
فان جحد بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق
على رسالته وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من
احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه
السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان المتصف بالنبوة
والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى
وتعقب بان الانبيا احيا في قبورهم فوصف النبوة باق للروح والجسد
معا وقال القشيري كلام الله لمن اصطفاه ارسلتك ان تبلغ عني وكلامه
تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال الصوته والى
الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي
هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه
عليه السلام حي في قبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ابد الاباد على الحقيقة
لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم

ايات

اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا
اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شي من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله
تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم
وعرفوا ضلال من ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم
فايدتان احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم
لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند
غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا
حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه
الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض
ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم
على صدقه عليه الصلاة والسلام الفايدة الثانية التنبيه على ان
المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه
ونشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب
على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك
سال هرقل ابا سفيان عن هذه الاوصاف استدل بها على صدقه فيما ادعاه من
النبوة والرسالة وقد قال تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى
ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك

هو الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف

يبعث

وصدقه وامانته ويعتقد وامانته

وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا

نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن
مقاتل كان الحرث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا
خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ويروى ان المشركين كانوا اذا
راوه عليه الصلاة والسلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل للنبي
صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
الاية والمعنى انهم لا يكذبونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم
فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
اجيب بانه على طريق الجحد وهو مختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع
منه ذلك لجهله بحيث لو علم امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون
المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم فح فلا تعارض
وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه
فقال والله اني لا علم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية
رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملوء بالايات الدالة على صدق هذا الرسول
الكريم وتحقيق رسالته فكيف يليق بكمال الله ان يقر من يكذب عليه اعظم
الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده
ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على
يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر
وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته
سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس

يابى

يابى ذلك كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته
ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة والقران
كله مملوء من هذه الطريق وهذه طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين
يستدلون بالله على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا
تدبرت القران رايته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب
واع عن الله تعالى قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين
افتراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر
من تقول عليه بعض الاقاويل بل لابد ان يجعله عبرة لعباده
كما جرت بذلك سنته في بعض المتقولين عليه وقال تعالى ام
يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك هاهنا
انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل
ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام
لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف
من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه
الايات والادلة وهذا في القران كثير يستدل تعالى بكماله المقدس
واوصافه وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو
عباده الى ذلك وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله

اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يومنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون
فاخبر سبحانه وتعالى ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه الحجة
والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب
لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشيا
كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط
بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه
عند مجازاته وحكمته عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله
وحلمه عند ذنوب عباده فتامل ورود اسمايه الحسنى في كتابه
وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة
من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا اي بما يقع فيها
من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيمة
كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها المشرف
من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا وشاهدا بكمال فردانيتنا
تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف

منا

علی

منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك وشمسا تنبسط شعاعها
على جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك
وقدمك فبشرهم بفضلنا وطولنا واحساننا اليهم علیهم ولما كان الله
تعالى قد جعله عليه الصلاة والسلام شاهدا على الوحدانية والشاهد
لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسيلة الوحدانية مدعيا
لها لان المدعي يقول شيا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من
الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعا النبوة فجعل الله تعالى
نفسه شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله
يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست [ومن عنده عبد الله بن سلام]
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد
على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله
يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة
لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر
بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله
وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة
والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتاييد حتى يظهر على مخالفيه

ويكون منصورا **ومن شهادته** تعالى له ايضا ما اودعه في قلوب
عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه
فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة
والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه
وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما اثرت على الحق
سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمانت الا به ولا احبت غيره **ولهذا**
ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره اوجبت له علما — بل احق كل حق م
ضروريا ويقينا جازما انه حق واصدق كل صدق **قال** فلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها
حقايق القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا
كساير الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به
حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا
الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه
الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين
وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصبهاني ان محمدا
صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرايل **ودليلنا**
على ابطال قولهم هذه الاية لان قوله يا ايها الناس خطاب يتناول
كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا

الى

الى جميع الناس **وايضا** فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين
فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا
حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه
فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا
الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول
انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرايل **واذا ثبت** هذا
فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس
من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك **اما** الاولون
فقالوا دخله التخصيص من وجهين **الاول** انه رسول الله الى الناس
كافة اذا كانوا من جملة المكلفين فاذا لم يكونوا اجاوا من جملة المكلفين
لم يكن رسولا اليهم **وذلك** لانه عليه الصلاة والسلام قال رفع
القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ
وعن المجنون حتى يفيق **والثاني** انه رسول الى كل من وصله خبر
وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه عند ذلك المتابعة — بعثه
اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبره
وخبر معجزاته وشرايعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا — نوا
مكلفين بالاقرار بنبوته **وعن** ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة
يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان

ورواه ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم

من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه انه لم يسمع به صلى الله عليه
وسلم ولم تبلغه دعوة الشرع الاسلام فهو معذور على ما تقرر في الاصول
انه لا حكم قبل الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة
نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل الاية خاطبه تعالى اهل الكتاب من اليهود
والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده
ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل
اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا
في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستماية
سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسماية وستون
سنة وقال الضحاك اربعماية سنة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي
فيما ذكره ابن عساكر تسعماية وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ
عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستماية سنة قال وكانت هذه الفترة
بين عيسى بن مريم اخر انبيا بني اسرايل وبين محمد صلى الله عليه وسلم
اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة
مرفوعا انا اولى الناس بعيسى بن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي
وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان
كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل
وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران

والصلبان

والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام
احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من
بني اسرايل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل
الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق
واخرجهم به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضا والشريعة
الغرا صلوات الله وسلامه عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك
والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص
عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يجا
بما يريد ابلاغه وتفهيمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا واليه
اشار صاحب البردة بقوله

لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه الصلاة
والسلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليجعل الفهم و
سنة القران ومن تتبع الكتاب والسنة راى من ذلك العجب العجاب ولما
ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله عليه الصلاة والسلام
على اسلامهم خص المومنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم
ولم يقل من اولادكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجسده النفس

لابروحه المقدس ويرحم الله القايل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ... تبلد ذهني هيبة لمقامه

ناهر تقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا ... موافيه احلام لذي بمنامه

اذا قال الاله كنيه جل جلاله ... روف رحيم في سياق كلامه

فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ... تحقق لقيه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد ما وصف
حميده واثني عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم وضررهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان
كان المقصد منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم
معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخصوصا به ومما يقوي
هذا التوهم عايد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على
الله عز وجل ولا ينبغي للشدة الا ان يكون معطوفة على متعلق المصدر
الذي هو الحرص فيكون مخصوصا به مما يقوي هذا التوهم عايد على النبي
ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على حذف مضاف اي كراهة
شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب انشا الله
تعالى ان تكون الشدة معطوفة على شدة والضمير فيه راجع الى الموصول
وهو ما في قوله ما يعنتهم والها الثانية في عليه عايدة على النبي صلى الله
عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
يجوز ان تكون رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينصب على الحال

مبالغة

وة (اعطا) الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه تم

على نفس المصدر الذي هو الحرص فيكون بوله وعزته معطوفه

١٦

مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى
ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره
القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه
شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمه الله للبر والفاجر لان كل نبي
اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت والقيامة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فذاته عليه الصلاة والسلام
كما قيل رحمة تعم المومن والكافر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقال عليه الصلاة والسلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي
والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين
الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة
ولقد احسن القايل

غيبة عم الكون بهجة عيشه ... سرور وحياة الروح فايدة الدهر

هو النعمة العظمى هو الرحمة التي ... تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فبيانه عليه الصلاة والسلام ونصحه رحمة ودعاوه واستغفاره
رحمة فمن وفق لذلك من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة

فالجواب

وقد جا بالسيف واستباحة الاموال **فان قلت** من وجهين **احدهما** انما
جا بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى
الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة **وقد** قال تعالى وانزلنا من السما
ما مباركا ثم قد يكون سببا للفساد **وثانيهما** ان كل نبي من الانبيا
قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق
وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت او الى القيمة **لا يقال**
انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم **وقال** تعالى ليعذب
المنافقين **لانا نقول** تخصيص العام لا يقدح فيه **وفي** الشفا للقاضي
عياض وحكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك
من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله تعالى علي
بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى
وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي
عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل **و**استدل بان الله وصف
جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه
وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون **و**لو كان محمد صلى الله عليه وسلم
مساويا لجبريل في صفات الفضل او مقاربا له لكان وصف محمد بمثل
ذلك **واجيب** بانا متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل
اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضايل

هنا

واذا

١٧

هنا لا يدل على عدمها بالاجماع **واذا** ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم
فضايل اخر زايدة فيكون افضل من جبريل **وبالجملة** فافراد احد
الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفا تلك الاوصاف عن الثاني
واذا ثبت بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين
والملايكة من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم
وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين
هذه الاية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق
الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس
كما قدمنا ذلك في اسمايه الشريفة من المقصد الثاني **و**بذلك وردت
الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم **فروى** احمد من حديث ابي بن كعب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها
واكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان
ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع
تلك اللبنة **و**رواه الترمذي عن بندار عن ابي عامر العقدي وقال حديث
حسن صحيح **وفي حديث** انس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت
فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره **وفي حديث** جابر مرفوعا
مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة
فكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة
وانا موضع اللبنة ختم بي الانبيا عليهم الصلاة والسلام رواه ابو داود

الطيالسي وكذا البخاري ومسلم وفي حديث ابي داود سعيد الخدري فجيت ابام
انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وارسلت
الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
ختم الانبيا والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر الله في كتابه
ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده فهو كذاب افاك دجال
ضال مضل ولو تخرق وتشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات
فكلها محال وضلالة عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى
ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعده لانه اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله
عليه وسلم ومنهاجه مع ان المراد انه اخر من نبي قال ابو حيان من ذهب
الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق
يجب قتله والله اعلم النوع الرابع في التنويه به صلى الله عليه وسلم
في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل قال
الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا
الكلام من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار
على الكذب والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان
حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال عليه الصلاة والسلام
هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوريه والانجيل وذلك
من اعظم الدلايل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كانوا يكتمون الحق وهم

يعلمون

ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده

يعلمون الحق ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا
محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا ابناهم ووجدوه مكتوبا عندهم
في التوراه والانجيل لكنهم حرفوهما وبدلوهما ليطفوا نور الله بافوا ههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فلا بد من ابقا نبوة نبينا في كتا بيهما
بعد تحريفهما لايحة واعلام شرايعه ورسالته فيهما لايحة وكيف
يخفى عنهم انكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفح
فمشفح محمد بغير شك واعتباره انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا
الحمد لله واذا كان الحمد لله شفحا فمشفح محمد لان الصفات التي اقروا بها هي
وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم
فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرت له الامم من بين يديه وكذلك
وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل
واصنامها به على انا لو لم نات بهذه والقصص من كتبهم المركوز فيما اودع الانبام
الله عز وجل القران دليل على ذلك وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو
يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه يقول الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل ويقول حكاية
عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل

زمانهم
مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه في كتابهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به حسدا وخوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل
فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب
فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه
وتصديقه فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج تدعيل ذلك على ما عندهم
وما في ايديهم ويقول من علامات نبوتي وصدقي انكم تجدوني عندكم
مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر او ليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان
غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم وتستميلهم بما يوحشهم عنهم وكم اسلم من اسلم ويستميلهم
من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وقد وقفوا منه على
مثل هذه الدعاوي وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد
ابن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بخروج
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك الله الذي انزل
الكتاب التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد
فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك
رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك
في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي

بالسيئة

١١٩

بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا
وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ
عليهم لان النفي محمول على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر على المعالجة محمولة
او النفي بالنسبة الى المومنين والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح
به في نفس الاية وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف
السيف وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امراة ابي الدرداء
قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة
قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به
آذانا صما ويقيم به الالسنة المعوجة حتى تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا
يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا

صح

علما وعند ابن اسحق ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة
وارفع به بعد الخمالة اسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع
به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم
متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس
قال قدم الجارود فاسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك
في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم
باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال انزل
هاهنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث
لا ضرع ولا زرع قال نعم هاهنا يخرج النبي صلى الله عليه وسلم الذي
من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما اختاره بعد
الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام
النبوة تجلى الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران
فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله
فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست
الفه الاولى همزة جبال بني هاشم الذي كان يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي

وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي
وهو شعب بني طالب هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال
قال ابن قتيبة وليس بهذا خفا لان مجي الله من سينا انزاله التوراة
على موسى عليه الصلاة والسلام على طور سينا ويجب ان يكون اشراقه من
ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل
بقرية تدعى ناصرة وباسمها تسمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه
من ساعير انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران
بانزاله القران على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل
الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعوا انها غير مكة قلنا اليس
في التوراة ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع
الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد
المسيح او ليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل
تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها
فشوه وفي التوراة ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين
اختارهم لميقات ربه خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا
من اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريت يوم الاجتماع قلت
لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا وسا اقيم
لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شي امرته به
وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ادلة

علي نبوه محمد صلي الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسي وقومه (اسحق)
من بني اسرايل واخوتهم بنوا اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني
اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله نبيا مثلك وقد قال
في التوراه لا يقوم في بني اسرايل احد مثل موسي وفي ترجمة اخري مثل موسي
لا يقوم في بني اسرايل ابدا فذهبت اليهود الي ان هذا النبي الموعود به هو
يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسي عليه الصلاه
والسلام بل كان خادما له في حياته وموكدا الدعوته بعد وفاته فتعين
ان يكون المراد به محمدا صلي الله عليه وسلم فانه كفو موسي لانه كان مثله
في منصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ علي الشرايع
السالفة وقوله تعالي اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به
محمد صلي الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به علي نحو ما سمعه
ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب وفي الانجيل
مما ذكره ابن ظغربك في الدر المنظوم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال
انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط آخر يثبت لكم معكم الي الابد روح
الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه وهو عند ابن ظغربك بلفظ ان تحبوني
فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الي ابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم الدهر
كله قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب
عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية
مخلدة ابدا فهل هو الا محمد صلي الله عليه وسلم انتهي ولم يذكر تفسير الفارقليط

اي اتباع المسائل

كما افاده ابن ظغربك سوي يوحنا دون غيره من نقلة الانجيل وقد اختلف
النصاري في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقنا (هم)
علي انه المخلص افضا بنا الامر الي ان المخلص رسول ياتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا
لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جيت
لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم
وهو الذي سال الاب ان يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضي اللفظ ما يدل
علي انه قد تقدم فارقليط اول وجاي بعده فارقليط اخر وان تنزلنا معهم
علي القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الي احمد ومحمد من هذا قال ابن ظغربك
وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل علي ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا
الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم واما
الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو الذي
يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا اصرح في ان الفارقليط
رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر
اسمه انه رسول حق ليس باله وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما قاله المسيح (وكلمة الله هم به مح)
عليه الصلاة والسلام آمرا به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة
مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الي الله
سبحانه وتعالي لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد
منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصاري عظما دينهم بالابا الروحانية
ولم تزل بنوا اسرايل وبنوا عيصوا يقولون نحن ابنا الله لشرفهم عند الله

اسحاق

تعالى واما قوله برسلا ابي باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه
وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه عما افترى في امره
وفي ترجمة اخرى للانجيل انه الفارقليط اذا جا وبخ العالم على الخطية ولا
يقول من تلقا نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جا روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل
ما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ بما هو لي ويخبركم فقوله
ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقا نفسه بل يتكلم
بكل ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه
وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده
حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرّاه وامه
عليهما الصلاة والسلام مما نسب اليهما واعداؤه بذلك قال ابن ظفر فمن
ذا الذي وبخ العالم على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين
بالثمن البخس ومن ذا الذي انذر بالحوادث الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله
در ابي عبد الله الشقراطسي قال في قصيدته
توراة موسى اتت عنه فصدقها . انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت . عما راوا ورووا في الاعصر الاول
ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان
هذا النبي محمد جاءت به . توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق . ذكر الاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله

واخبر بالغيب

ويرحم الله ابن جابر حيث قال
لمبعثه في كل جيل علامة . على ما جلته الكتب من امره الجلي
فجا بذا انجيل عيسى باخر . كما قد مضت توراة موسى باول
وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام
ابن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى صاحب الروم فدعوناه الى الاسلام
فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة الربعة
العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا
فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثله
طول عنقه واذا له ظفيرتان احسن ما خلق الله تعالى فقال اتعرفون هذا قلنا لا
قال هذا ادم عليه الصلاة والسلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج سودا واذا فيها
صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال تعرفون هذا قلنا لا
قال هذا نوح عليه الصلاة والسلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة
فاذا فيها صورة بيضا فاذا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون
هذا قلنا نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكينا قال والله انه قام قايما
ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر
اليها ثم قال والله انه اخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث
وفيه ذكر صور الانبيا ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال
فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم عليه الصلاة والسلام
سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل الله عليه صورهم فكان في خزانة

حريرة
واذا فيها رجل
وبكينا

ادم عليه الصلاة والسلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين
من مغرب الشمس فدفعها الى ابنا ال وفي زبور داود عليه الصلاة والسلام
في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك
الله الى الابد تقلد ايها الجبار بالسيف فان شرايعك وسنتك مقرونة
بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون من تحتك فهذا
المزمور بنبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه
هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها
وقوله فان شرايعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم
بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا
وعن وهب بن منبه قال قرات في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى
وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا يملا ما بين المشرق والمغرب
ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السما ونبات
الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السما
ونبات الارض كلهم يؤمن بي رسولا يكفرون بملل ابايهم وينفرون منها
قال عيسى سبحانك وتقدست اسماوك لقد كرمت هذا النبي وشرفته
قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته
على كل دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل زينته وللقسط
اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابراهيم
واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته

فهو

فهو من الله بري ذكره ابن ظفر وغيره النوع الخامس في ايات تتضمن
اقسامه تعالى على تحقيق رسالته ونبوته ما اوحي اليه من اياته
وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وهذا النوع
اعزك الله لخصت اكثره من كتاب اقسام القران للعلامة ابن القيم مع زيادات
من فرايد الفوايد واعلم انه تعالى اقسم بامور على امور وانما اقسم بنفسه
الموصوفة بصفاته او اياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض
مخلوقاته دليل على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم
وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان
الرسول حق وتارة على الجزا والوعد والوعيد حق فالاول كقوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب
مكنون لا يمسه الا المطهرون والثاني كقوله تعالى يس والقران الحكيم
انك لمن المرسلين على صراط مستقيم والثالث كقوله والذاريات ذروا
الى قوله وان الدين لواقع اي الجزا واقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت
ان الرسول حق ثبت ان القران حق وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت
صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق
الرسول الذي جاء به وفي هذا النوع اي في بيان هذا النوع خمسة فصول الفصل
الاول في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل
العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسما الحروف

كالم، والمص، وق، واختلف فيها فقيل هي اسما للقران وقيل اسما للسور
وقيل اسما الله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص
يا حمعسق كما قيل ولعله اراد يا منزلهما وقيل انه سر استاثر الله بعلمه
وقد روي عن الخلفا الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم
ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم تقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد وهل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس
ويكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة
فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان نون لوح من
نور تكتب فيه الملائكة ما يامرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا
واقسم تعالى بالكتاب والقلم وهو القلم الذي هو احدي اياته واول مخلوقاته
الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبتت
به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش
وقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه وانفعه لهم وانصحه وواعظا
تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبري باذن باريه من انواع
الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم المحمود في كل
افعاله واقواله مما غمصه اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله
تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت
العقلا قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم عن الحق
ما لا يهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلا وخضعت

له

له الباب الالبا وتلاشت في جنب ما جابه بحيث لم يسعها الا التسليم
والانقياد والاذعان طايعة مختارة وهو الذي كمل عقولها كما يكمل
الطفل برضاع الثدي ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه
وسلم في دنياه واخرته فقال وانك لعلى خلق عظيم اي ثوابا غير منقطع
بل هو دايم مستمر ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدرك الوصف
ولا يبلغه التعبير ثم اثنى عليه بامتحه فقال وانك لعلى خلق عظيم
وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته ولقد سيلت عايشة رضي الله
عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران ومن ثم
قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق
هيية مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة
وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق
تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب
النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت
اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القران فكان كلامه مطابقا
للقران تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم الاولين والاخرين القران
وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران واعراضه وتركه لما منع
القران ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كره ٥٥
ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجم ام المومنين لكمال
معرفتها بالقران وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها

وان لك لاجرا غير ممنون

كما خلقه القرآن ومن المسائل عنها هذا المعنى فاكتفي به واستغنا ولما وصفه
تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون اي فستري
يا محمد وسيري المشركون عاقبة امورهم بانك تصير معظما في القلوب ويصيروا
اذلاء مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب

الفصل الثاني
في قسمه تعالى على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه

قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم
به تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرضيه
وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الاخرة فهو
قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته دالتين على
ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم
كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال
ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي
بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه
عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه وقلاه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة
الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي
اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار
الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل سرمدا والغي بل يهديهم بنور
الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم
عليه وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على

معانيها

معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلا
البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف من قلا
اكتفاء بكاف ودعك ولان رؤس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل
حذفها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها كما ان
الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به
نفسه وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه
من القرآن والهدى والنصر والظفر باعدائه يوم بدر وفتح مكة ودخول
الناس في الدين افواجا والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه
في بلاد العرب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد
مماته وما يعطيه في موقف القيمة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه
في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر قال ابن عباس يعطيه الف
قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية
على انه تعالى يعطيه عليه السلام كل ما يرضيه واما ما يغتر به الجهال من انه
لا يرضى وواحد من امته في النار ولا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من
غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى
به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه وتعالى يدخل النار من يستحقها من الكفار
اي يوقت له وقتا يشفع فيهم
والعصاة ثم يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي
ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من
ان يقول لا ارضى ان تدخل احدا من امتي النار او تدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى

يأذن له فيشفع فيمن شا الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه
ثم ذكر سبحانه بنعمه عليه من ابوابه بعد يتمه قال الم يجدك يتيما
فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة اي الم يجدك
واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه
ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر
السايل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل المراد
بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه قال الله تعالى

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم
على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداوه من الضلال والغي واختلف
المفسرون في المراد بالنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ويكون التعريف
للعهد في قول وللتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها وقيل الثريا اذا
سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة النجوم التي ترمى بها
وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد بها الثريا وعن ابن عباس في رواية عكرمة
النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند استراق السمع وهذا قول
الحسن وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد
به النبت الذي لا ساق له وهو يأبى سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي
عن ابن عباس انه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد

ومقاتل

ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم
اذا هوى اذا نزل من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قال ابن القيم انها
النجوم التي ترجم بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة
المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على
ان ما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وصدق لا سبيل للشيطان
ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا
له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي
المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القران عند نزوله
بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القران ذلك فيحمل
هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها
اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيمة
بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا
لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث فانه سبحانه انما يستدل
بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى
فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان
المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره في السما بل هو
ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات البينات
ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب اواخر
اوايل الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل المطهر

قبل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو استدلال
بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائته وانه ما ضل ولا غوى وان قلنا ان
المراد النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية
اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى
ما ضل صاحبكم تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق ولم يقل ما ضل محمد
به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال
ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز
وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولم يقل وما ينطق بالهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل لان نفي نطقه
عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى
فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه
عن النطق ونفيه نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال
ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل
اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القران
فان نطقه بالقران والسنة وان كليهما وحي يوحى قال الله تعالى
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي
عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه

الوحي

الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية
فقال علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها
شديدة القوى ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل
ولم يصفه لم تحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا
نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله
تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وان القلب
صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره
بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا
مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح
من ان يحتاج الى قسم او اقسم ولا مزيدة للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين
بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه
ان يقال هي للنفي اي لا نقسم بالشيء الا اعظاما له فكانه بادخال حرف
النفي يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق
ذلك اقسم تعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها
وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة
ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة
الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته
ودلائل ربوبيته ان القران قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر

صفته قطعا بعد ذلك بما يعيبه به وأما الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد
صلى الله عليه وسلم فأضافه إلى الرسول الملكي تارة وإلى البشري أخرى
وإضافته إليهما إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء من عندهما ولفظ الرسول
يدل على ذلك فإن الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله فهذا صريح في أنه كلام
من أرسل الرسول جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل
وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بأنه كريم يعطي أفضل
العطايا (أي العطيات) وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والإرشاد (أي الدلالة على الخيرات) وهذا غاية
الكرم ذو قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين
أن يدنوا منه وأن يزيدوا فيه وأن ينقصوا منه ويروى أنه رفع قريات
قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها عند
ذي العرش مكين أي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الإكرام والتشريف
والتعظيم مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه
أمين على وحي الله ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس
صفات تتضمن تزكية سند القرآن وأنه سماع محمد صلى الله عليه وسلم
من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السماع السند علوا
وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما
يقول فيه أعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون
فيه وإن قالوا بألسنتهم خلافه فهم يعلمون أنهم كاذبون ثم أخبر عن رؤيته
صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وهذا يتضمن أنه ملك موجود

[هامش: فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل صح]

[هامش: قال الجوهري قوادم الطير مقاديم الريش في كل جناح عشر الواحدة قادمة وقدامى انتهى]

[هامش: وهم الملاحدة عليهم لعنة الله]

في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقوم يعتقدون عندهم أنه
خيال موجود في الأذهان لا في الأعيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل
وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله
عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى فإن رؤيته
عليه الصلاة والسلام لجبريل هي أصل الإيمان الذي لا يتم إلا باعتقادها
ومن أنكرها كفر قطعا وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسألة نزاع لا يكفر
جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره فنحن إلى تقرير
رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى وإن كانت رؤية الرب
سبحانه أعظم من رؤية جبريل فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة ثم
نزه تعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم أحدهما بطريق النطق والثاني
بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة والبخل
والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فإن
الرسالة لا يتم مقصودها إلا بأمرين أدائها من غير كتمان وأدائها على وجهها
من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالآيتين فتضمنت إحداهما وهي قراءة
الضاد تنزيهه عن البخل فإن الضنين البخيل يقال ضننت به أضن بوزن بخلت
أبخل ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله تعالى وقال مجاهد
لا يضن عليهم بما يعلم وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحي
وقال الفراء يقول تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه (أي مرغوب فيه) فلا يضن
به عليكم وهذا معنى حسن جدا فإن عادة النفوس الشح بالشيء النفيس

[هامش: رؤيته م]

[هامش: مطلب الرؤية لا يكفر جاحدها باتفاق]

ولا سيما عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل
عليكم بالوحي الذي هو انفس شيء واجله وقال ابو علي الفارسي المعنى
يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده
ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا واما قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه
المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو
الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا
الرسول على القران بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا
يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم
وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو
اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك كله وزكى سند القران اعظم تزكية والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
الاية اقسم الله تعالى بالاشيا كلها ما يبصرون منها وما لا يبصرون وهذا
اعم قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة
وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملايكة كلهم والجن والانس والعرش
والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا
القسم ان كل ما يرى وما لا يرى اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه
وسلم وان ما جاء به من عند الله تعالى وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون
ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان ما يشاهد من الموجود ا[منهم]تما يرى وما لا يرى

حق

حق كما قال تعالى فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكانه
سبحانه وتعالى يقول انه اي القران حق كما ان ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشا
هدونه حق موجود ويكفي الانسان من جميع ما يبصر وما لا يبصر نفسه ومبدا
خلقه ونشاته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك ابين
دلالة على وحدانية الرب سبحانه وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم
تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق
رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى لما
اقره ولعاجله بالهلاك [علي] بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته يابى ان يقر من تقول عليه
وافترى عليه واضل عباده واستباح دما من كذبه وحريمهم واموالهم
فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف
يليق ان يويده وينصره ويعليه ويظهره بهم [ويظفره] ويسفك دماهم ويستبيح
اموالهم واولادهم ونساهم قايلا ان الله امرني بذلك واباحه لي كيف يليق به
ان يصدقه بانواع التصديق كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها
مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له
باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان
ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد
صلى الله عليه وسلم كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده
انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل

بل لم يصدقه بانواع التصديق ... وبالايات المستلزمة لتصديقه ثم ... بهذا ...

عليه السلام بالشعر والكهانة ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون
قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب
الذي بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بايدي مكرمة مرفوعة
وهو الذي بيت العزة في سما الدنيا
سفرة كرام بررة قال مالك احسن ما سمعت في هذه انها مثل الذي في عبس
قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر
والاول ارجح لان الاية سيقت تنزيها للقرآن ان تنزل به الشياطين
وان محله لا يصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى
ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الى صرف الخبر
عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته
وليس هنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا
الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف
للمحدث وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن دليلهم المزخرفة فقال
ما نصه القرآن لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب
المذكورين ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل او مسه
غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين الملائكة لانه قد نفى واثبت
فكانه قال لا يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها
غير مطهر بالاجماع فعلم ان المراد المطهرين من الادميين ويتبين ذلك انه عليه ما روي عنه

الصلاة

الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره
ولا يمس القرآن الا وانت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر
اهل التفسير على ان المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا
اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل واما
كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه
النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات
يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطي في شرحه لمختصر الشيخ خليل بان
يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب
البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة
شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المشهور بالسمين
مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في هذه وجهان الثاني انها ناهية
والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله
تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل
ما الضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في هذا الا الضم وفي حديث
انا لم نرده عليك الا انا حرم وان الناس جوز فتحه تخفيفا قال
وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال
لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما
على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره الفصل الرابع في قسمه تعالى على
تحقيق رسالته قال الله سبحانه وتعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن

المرسلين الاية اعلم ان كل سورة بدا الله فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر
او الكتاب او القران الا ثلث ثم ان في ذكر هذه الحروف في اوايل السور
امور تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف
الله سر ذلك واختلف المفسرون في معنى يس على اقوال احدها يا انسان بلغة
طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل
بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وقال الكلبي انها بالسريانية وقال
الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف
الصدر منه واخذ العجز وقال يس وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله
عليه وسلم يدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه ابو حيان بان
الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل على ان
اصله انسيان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا
في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز لانه تحقير
ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى وقال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد
نصوا على ان التصغير لا يدخل الاسما المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن
قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر مومن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة
ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله انتهى وقيل معنى يس
يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله ابو العالية وقيل
هو اسم من اسما القران قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن
جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه

من

من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو
من اسمايه وعن كعب اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السموات والارض يا محمد انك لمن المر
سلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

الفصل الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة
الاستعمال فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله
لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا
عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لا فعلن والمعنى احلف بالله
فحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاج من قال لعمر الله كانه حلف
ببقا الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقا الله من
صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك وقال الامام الشافعي
واسحق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي
واختلف فيمن المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملايكة قالت
للوط عليه الصلوة والسلام لما وعظ قومه وقال هولا بناتي لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى
نصيحتك الثاني ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى
اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض

قال ماخلق الله وماذرأه وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول
وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير
ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزله ورواه البغوي
في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد
غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه
بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال
القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه
يجوز لنا ان نحلف بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه
وسلم ينعقد يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم
احد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد واستدل من جوز الحلف
به عليه الصلاة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه
وسلم المسلمون ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا
اذا جاء صاحبه وقال احلف لي بحق صاحب هذا القبر او بحق ساكن هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد
الاية اقسم تعالى بالبلد الامين وهي مكة ام القرى وهو بلده عليه الصلاة
والسلام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله
واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قال البيضاوي ثم اقسم
بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم

وسلم وعلى هذا فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد بوالد ادم
وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله
على وجه الارض لما فيهم من البيان والنظر واستخراج العلوم وفيهم الانبيا
والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل من في الارض من مخلوق خلق لاجلهم
وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد الى مكة
ومرجع العباد الى ادم وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن
اقسامه تعالى بالبلد المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع
واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا
لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل قتلك
واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل
فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت
حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه
مكة واهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه
السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت
في اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه
قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى
كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه الصلاة والسلام ولا يخفى ما فيه
من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله

عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب
قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد **وقال تعالى ان الانسان لفي خسر** والعصر
اختلف في تفسير العصر على اقوال **فقيل** هو الدهر المشتمل على الاعاجيب
لانه يحصل فيه السرا والضراء والصحة والسقم والغني والفقر وذكر العصر
الذي يمضي فيه عمرك فاذا لم يكن في مقابلته بلية كسب صار ذلك
عين الخسران ولله در القايل
انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل
وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه اقسم بزمان
الرسول صلى الله عليه وسلم **قال** الامام الرازي واحتجوا له بقوله
صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم كمثل رجل استاجر اجيرا
فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت النصارى ثم قال البهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر
من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى
وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجوركم
شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا
رواه البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي
هو فيه فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله
وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك
وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف
قال ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا النبي

النوع

النوع السادس في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور

والسراج المنير **اعلم** ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم
بالنور في قوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين **وقيل** المراد القران
ووصفه عليه الصلاة والسلام بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا **والمراد** كونه
هاديا مبينا كالسراج يري الطريق ويبين الهدي والرشاد وبيانه اقوى
واتم وانفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية
اعظم في النور ابيد من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها
ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية
لساير الانفس البشرية ولذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف
نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا
الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي
اشرق على العالم واشرق على العوالم الروحانية وهم الملايكة فصارت
سرجا منيرة يستمد منها من هو دونها بجود الله ثم سري النور الى عالم
النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم فليس في الوجود
الا نور الله الساري الى الشي منه بقدر قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه
والنور في الاصل كيفية يدركها الباصر اولا وبواسطتها ساير المبصرات
كالكيفية الفايضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيرة الكثيفة

الجاذبة لهما **و**هو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف
كقولك زيد كرم **ء** بمعنى ذو كرم **ء** او بمعنى منور السموات والارض **فانه** تعالى
نورهما بالكواكب **ء** وما يفيض عنها من الانوار و بالملايكة والانبيا من قولهم
للرييس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور **ويويد**
هذا التاويل قراءة علي بن ابي طالب **ء** وزيد بن علي **ء** وغيرهما **ء** نور فعلا ماضيا
والارض بالنصب **وقوله** مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور
الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء
له السموات والارض **واما** لارادة اهل السموات والارض وانهم يستضيئون
به **وعن** مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة فيها
مصباح **ء** **فالمشكاة** نظير صدر عبد الله **والزجاجة** نظير جسد محمد صلى الله
عليه وسلم **ء** **والمصباح** نظير الايمان والنبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم **ء** **والزجاجة** نظير اسمعيل عليهما الصلاة
والسلام **ء** **والمصباح** جسد محمد صلى الله عليه وسلم **ء** **والشجرة** النبوة والرسالة
وعن ابي سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم **ء** **والزجاجة**
قلبه **ء** **والمصباح** النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم **وعن**
كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة صفتها
وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب
دري توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة

وقوله

مثل نور المومنين وفي رواية عنه مثل نور من آمن به وعن الحسن يعود على القران والايمان كذا بخطه

وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تتبين
للناس قبل كلامه **ء** حكى هذا الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر
الرازي لكنه عن كعب الاحبار **وعن** الضحاك يكاد محمد صلى الله عليه وسلم
يتكلم بالحكمة قبل الوحي **قال** عبد الله بن رواحة **ء** لو لم تكن فيه ايات مبينة
كانت بديهته تنبيك بالخبر لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه
تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات **ء** **فاذا** كان المراد بقوله
مثل نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله **النوع السابع في ايات**
اصله وطلب اتباع سنته
تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته **قال** الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله **وقال** تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فانما عليه فان الله لا يحب
الكافرين **قال** القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته
بطاعته **ء** ووعد على ذلك بجزيل الثواب **ء** **واوعد** على مخالفته بسوء العقاب
وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول لكونه
رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله **فهو** في الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك
في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا **فان**
من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا لا يقدر على ارشاده **ومن**
الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي
وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله
وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته

في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان
ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له
وانقياد لحكم الله تعالى **وقال** تعالى من يطع الرسول فاوليك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصلحين الاية
وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية
في هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان **وقد ذكروا في سبب** نزول
هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر
عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع
غير اني اذا لم اراك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك
فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون
في درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فلا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله
ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله
الاية **وذكر** عن عكرمة مرسلا اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيمة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات
العلى فانزل الله هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي
في الجنة **وذكر ايضا** في روايات اخر تاتي ان شا الله تعالى في مقصد محبته
عليه الصلاة والسلام لكن قال المحققون لا نسلم صحة هذه الروايات لان

سبب

سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة
والترغيب فيها فانا لا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع
الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده
تعالى **ثم** ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي
الاكتفا بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب
الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لابد ان يحمل على غير ظاهره
وان يحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملنا
على الطاعة الواحدة لدخل الفساق والكفار لانهم قد ياتوا بالطاعة
الواحدة **قال** الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور
عقب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت
هذا **فنقول** قوله من يطع الله اي في كونه الها فطاعة الله في كونه الها
هي معرفته والاقرار بجلالته وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه
الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد **فالاول** ان منشا جميع
السعادات يوم القيامة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كان
هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة اقرب
والى الفوز بالنجاة اوصل **الثاني** ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة
وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع
النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون

كان ثوبان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وذلك
لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية والتلاقي
قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت ايضا انه قال ان
بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية
والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن ففي بالقلب لا بالقالب
ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين
النصارى بالحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد
وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية او شخص من الاشخاص
فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية
والمكانية بعد عظيم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة وقال بعض
بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله تعالى اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها
فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها ~~دليلها وعلامتها اتباع الرسول~~
~~وفائدتها وثمرتها~~ محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة
ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله الرسول عليه الصلاة والسلام

مشروطا

مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود
تحقق شرطه فعلم انتفا المحبة عند انتفا المتابعة ~~فلا محبة لكم حاصلة~~
فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة
الله لهم فيستحيل اذا ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله
صلى الله عليه وسلم ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة
امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله وطاعة امره ~~ولا يكفي~~
احب اليه مما سواهما فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله ومتى كان
عنده شي احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا
يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة احد
من هولا على طاعة الله ورسوله اوقول احد منهم ورجاه والتوكل عليه على
خوف الله ورجايه والتوكل عليه او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله
فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه
واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شا الله
تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام وقال تعالى فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
اي الى الصراط المستقيم فجعل رجا الاهتدا اثر الامرين الايمان بالرسول

واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة
فكل ما اتى به الرسول يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل وقال تعالى
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني القرآن فالايمان به صلى الله
عليه وسلم واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين ولا مزيدة للتأكيد لمعنى
القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون جواب اقسم الله تعالى بنفسه الكريمة
المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في امره
ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم
او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه
تبعا لما جئت به ومما يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه
وسلم لا يكون مؤمنا على انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك
بان يحصل الجزم والتيقن في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو
الحق والصدق فلا بد من الانقياد ظاهرا وباطنا وسببا في مزيد لذلك في
محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه
لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه
وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول

النص

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد
ان لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين
وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج
ابن السبكي في جمع الجوامع وغيره النوع الثامن فيما يتعلق بالادب معه
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله فمن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يتقدم بين
يديه بامر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى ويأذن كما امر الله
تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين
يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
حتى يقضيه الله على لسانه قال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى
وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة
اذ تقدم بين يديه كيف تأخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم
بين يدي رسول الله كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك
التأخر الى خلفه وقد اوما اليه ان اثبت مكانك سعيا الى القدام بكل
خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي ومن الادب معه
صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له

بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه لا ينبغي ان يتكلم المومن
عند النبي صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل
في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المومن للنبي
صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا لكان قد جهر له كما جهر
بعضكم لبعض قال ويويده ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين
من انفسهم والسيد ليس عند عبده اولى من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجد
العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذلك لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله
عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة
لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم كما ان العضو الرئيس اولى
بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة
فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا
بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا قد يودي
الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه
كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه وقد روي ان ابا جعفر امير المومنين ناظر مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم

فوق

ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله ولهم
اجرا عظيما

فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين ينادونك من ورا
الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو
جعفر واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال فما
الظن برفع الارا ونتايج الافكار على سنته وما جا به ومن الادب معه
صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاه كدعا بعضنا بعضا قال تعالى
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين
احدهما انكم لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله
يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول
اي دعاكم الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاه لكم بمنزلة دعا بعضكم بعضا
ان شا اجاب وان شا ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم
التخلف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه
محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاه اياكم وتقدم في
المصابيح من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته
صلى الله عليه وسلم ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على
امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد منهم في حاجة له
حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا
كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا
مقيدا بالحاجة العارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق
في تفاصيل الدين اصوله وفروعه ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب

اليه بدون استيذانه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه
صلى الله عليه وسلم انه لا يستشكل قوله بل يستشكل الاراء بقوله ولا
يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى نصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن
الصواب معزول ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا
من قلة الادب معه وهو عين الجراة ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم
كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون
ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم
عليه اراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد
والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والتوكل فهما توحيدان
لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول
فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقران مملو
بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع ومن الادب
معه صلى الله عليه وسلم المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم
ترفيعا لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت
بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
اجاب عنه تعالى عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة
الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه نصره
لان نصرته له تعالى اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده

وانت

وانت في ديوان مجده فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه
رسوله وحبيبه وخليله مما نقصته اعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله
ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له ايهم المفتون
هو ام هم وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ
وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم
به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون ولما راى العاصي بن وائل السهمي النبي
صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم
وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا
له من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الله عليه
وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو
الذليل الحقير ولما قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست مرسلا اجاب الله
تعالى عنه فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين ولما قالوا اينا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين
ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ولما قالوا ام يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر
وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين ولما حكى الله تعالى عنهم قولهم ان هذا
الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله

فقد جاوا ظلما وزورا وقال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
ولما قالوا انما يلقيه اليه شيطان قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين
الاية ولما تلى عليهم نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لين اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولما قال
الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر قال الله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية
له صلى الله عليه وسلم ولما قالوا محمد قلاه ربه ورد الله تعالى عليهم بقوله ما ودعك
ربك وما قلى ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فقال تعالى
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
~~فقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون~~
في الاسواق ولما حسدته اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا
ما همته الا النكاح رد الله تعالى عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
واتيناهم ملكا عظيما ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر
بقولهم الذي حكاه الله تعالى عنهم وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم
الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا ان التجانس يورث
التوانس وان التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان
في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي

لوكانوا

لو كانوا ملايكة لوجب ان يكون رسولهم من الملايكة لكن لما كان اهل الارض
من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فما اجل هذه الكرامة وقد كانت
الانبيا انما يدافعون عن انفسهم كقول نوح عليه السلام ليس بي ضلالة
وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك النوع العاشر في ازالة
الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه الصلوة والسلام متشابهات قال
الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلما على انه
صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جايز عقلا على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جايز عقلا
لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جايز في العقول ثم يكرم الله من اراد
بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع قال
الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال
الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت
الاخبار والاثار على ان الانبيا منزهون عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاوا
على التوحيد والايمان على [illegible] اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
ولم ينقل احد من اصحاب اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان
لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم من الجهل بالله
وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قرره من امور الشرع

واداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا وعصمته عن الكذب
وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك
عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة
قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة
الغفلة والسهو واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في حالة من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب للنبي صلى الله كل ا
عليه وسلم لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين (اي البخيل) فان من يجهل
ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه
عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة (الهوة الوهدة والمكان المنخفض)
الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحل بصاحبه دار البوار (اي الهلاك بالفتح وبالضم الكساد) وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير
بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور
الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام
قرينة بل مطلقا وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن عند بعضهم
الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة
والاباحة والحظر والمعصية انتهى واختلف في تفسير هذه الاية
على وجوه كثيرة احدها وجدك ضالا عن معالم النبوة (اي عن شرايع النبوة اي ما كنت عيا قبل ...) وهو مروي ايام
عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب وبويته قوله تعالى

ماكنت

ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال القاضي
ابو بكر ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام فقد كان عليه الصلاة
والسلام قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد
بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى
الثاني معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين
انه قال عليه الصلاة والسلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي
حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل الما في اللبن اذا
صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت
دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى
يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمرة الايمان بالله
تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل الخامس
قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم الله
بك وبشرعك السادس اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطا
والضحاك والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك
القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
السابع اي وجدك ناسيا فذكرك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال
بسبب الهيبة فهداه الله الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثنا عليك
الثامن اي وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان

والى الرشاد هم التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما أنزل اليك فهداك الله
لبيانه كقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد العاشر
عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان من اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما
بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة
لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا اي صوتا بالدفوف والمزامير
فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر
على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة من القرآن
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز
الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه
وجاءت الاقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف
في تفسير هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله

الحمل

الحمل سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان
يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقداره وقيل المراد منه
تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها
والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها
بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغيير
لسنة الخليل عليه الصلاة والسلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قوى
الله تعالى قال له اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقيل معناه عصمناك عن
الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا
مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة
فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس
من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى
شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ومعنى انقض اي
كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل
النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم
في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعد الشفاعة
في الآجل واما قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال ابن عباس اي انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال

وقال

بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك **وقيل**
المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره
القشيري **وقيل** ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا **وقيل** المراد امته **وقيل**
المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين
وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة
الفعل **وقال** السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها وما بعدها
فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه
وسلم من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الاية
جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية
شيئان سلبية وهي غفران الذنب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار
اليها بقوله ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما والدنيوية
وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي
صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في
غيره **و**لهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده
اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك
وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال انما المعنى التشريف بهذا
الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم **قال** وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب
انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق

عن

اي العصمة في افعاله

عن الهوى ان هو الا وحي يوحى **واما الفعل** فاجماع الصحابة على اتباعه
والتاسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم
في ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة ويحرصون على
العمل بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم **ومن** تامل احوال الصحابة
معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك
واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية
انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم
استغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت
اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك
ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله
بتقوى توجب استدامة الحضور **واجاب** بعضهم عن هذا ايضا
بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله
عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل
فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد **وقيل** المراد على التقوى فانه
يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت
فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه **وقيل** الخطاب مع النبي صلى
الله عليه وسلم والمراد امته **و**يدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما
تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل **واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين**
فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته

الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق
العظيم اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوي
قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوايل
ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد روسا الكفار من اهل مكة
وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج
للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك الاية فاعلم ان المفسرين اختلفوا
فيمن الخطاب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وقال
اخرون المخاطب به غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه
الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره
كقوله تعالى اذا طلقتم النسا وكقوله لين اشركت ليحبطن عملك وكقوله
لعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام انت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان
تحت راية ذلك الامير جمع فاراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه
خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني
قال الفرا علم الله تعالى ان رسوله غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده
ان كنت ابني فبرني وان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال لضيق الصدر
شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاين من تعنتهم واذاهم فاصبر واسيل الذين يقرون
الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم

من

من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن
مصدق لما فيه او تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته
او يكون على سبيل الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك له ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسيل
واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقديره
ان الناس كانوا في زمانه عليه الصلاة والسلام فرقا ثلاثة المصدقون
به والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله
تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك
من الهدى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاسيل اهل الكتاب
ليدلوك على صحة نبوته وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم ويا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد
بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى
لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم
المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن امترى يا محمد
لا تكونن من الممترين اي الشاكين وانه صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره وقيل
غير ذلك واما قوله تعالى ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال

لاتكونن من يجهل ان الله تعالى لو شا لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيا والمقصود اثباته الجهل
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل
على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله
عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب
لامته عليه الصلاة والسلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
مكي قال ومثله في القران كثير كذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في
الارض فالمراد غيره كما قال تعالى ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى
تعالى ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه
ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه
وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشا كما قال تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم صلى الله عليه وسلم وما كان
من الظالمين واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله
والذين هم عن اياتنا غافلون واما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف
اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فمعناه
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم والنزغ ادنى حركة
تكون كما قاله الزجاج وامره تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه

اودام

اودام الشيطان من اغوايه به وخواطر ادانى وساوسه كلام يجعل له
سبيل اليه ان يستعيذ به منه فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته
اذ لم يتسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه في اول الرسالة
ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله
حقيقة كما قدمته في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فاحسن ما قيل
فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة والقا الشيطان
فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله
القاضي عياض وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك قال في الشفا
واما قوله عليه الصلاة والسلام يوم الوادي ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه
كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي
انما كان على بلال الموكل بكلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل

اما بعلم ضروري خلقه الله له او ببرهان ظهر لديه

حين نام عن الصلاة

عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا
اعتراض به في هذا الباب لبيان جواز انقطاع اشتغاله قال واما قوله تعالى
عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات (وهو ابن ام مكتوم) فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة
والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف له عن حال الرجلين لاختار اقبال الاعمى وفعل النبي
صلى الله عليه وسلم هو الواجب المتعين لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له ولا مخالفة (لا معصية) له
وما قصه الله عليه من ذلك اعلاما بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده واشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى اي ليس
عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم
ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ
وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره
كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار ويعرف
بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام
بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له
عليه الصلاة والسلام وذلك معصية وان الذي فعله الرسول صلى الله
عليه وسلم هو الواجب المتعين وقد كان عليه الصلاة والسلام ماذونا
له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه يستحق مزيد الرفق
واما قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعر

عن

٤٠٦

عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة
وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل
الذي في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شا فقال تعالى فاذا استا ذنوك
لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه عليه الصلاة والسلام
وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما
بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسرا فعاتبه الله كما تسمعون
واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى
قال عفى الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقول الاخر لم اذنت
لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله عفى الله عنك يوجب
ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله في توقيره وتعظيمه كما يقول
الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفى الله عنك ما صنعت في امري ورضي
عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي ولا يكون غرضه
من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر
بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفى الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب
عليهم قط اي لم يلزمهم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو
لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفى الله عنك
اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون
قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه

الله من ذلك فقوله عفى الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو
يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال
ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب كاف شاف
قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد
هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه
ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
الله من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم واما قوله تعالى
في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى
مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم
بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون واستشار النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا رسول الله هولاء بنوا
العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون
ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا
عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب
لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة
من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا مودة
للمشركين

من اهل العلم

للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو
بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت
وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذ الفدا عرض
علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر
القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام و
اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به وفضل من بين سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام فكانه
قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنائم
ولم تحل لاحد قبلي واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا
فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه ولا علية
اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا

يستولي

كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل الله له لم يعص قال الله
تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا **وقيل** بل كان عليه الصلاة والسلام
قد خير في ذلك **وقد روي** عن علي قال جاء جبريل عليه الصلاة والسلام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفدا على ان يقتل منهم العام المقبل مثلهم
فقالوا الفدا ويقتل منا **و**هذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين **قال** القاضي ابو بكر بن العلا اخبر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال
الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادى في اسارى سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بازيد من عام وهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك مثله
فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك
لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب قاله القاضي عياض **واما قوله تعالى**
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية **فالمعنى لولا ان ثبتناك**

لقاربت

لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا
عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة
الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان
خطأ الخطير اخطر وقد اعاذه الله من الركون الى اعدايه بذرة من قلبه

اي ضعف ما

ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك قوله

۞ النحوي هذا العصر ما هي لفظة ۞ جرت في لساني جرهم وثمود ۞
۞ اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ۞ وان اثبتت قامت مقام جحود ۞

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون
وقد فعلوا **والثاني** وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن
اليهم شيا قليلا قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن **واما
قوله تعالى** ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين **فالمعنى** لو افترى علينا بشي من عند نفسه لاخذنا
بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه
فان قلت لا مرية انه يعفى للحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم
ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

۞ واذا الحبيب اتى بذنب واحد ۞ جات محاسنه بالف شفيع ۞

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن
والاحسان الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد

الوارد ان وقع منه ما يكره، وكم من راكن الى اعدايه، ومتقول عليه من قبل
نفسه ولم يعبا به كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي
بين الامرين فان كملت عليه نعمة الله وخصه الله منها بما لم يخص به من كملت
غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه الله بالانعام وخصه
بمزيد القرب والاكرام اقتضت حالته من حفظ مرتبته القرب
والولاية والاختصاص ان تراعا مرتبته من ادنى مشوش، وقاطع
للشدة الاعتنا به، ومزيد تقريبه، واتخاذه لنفسه، واصطفاه
على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم، ونعمه عليه اكمل
فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره، فهو اذا غفل واخل بمقتضى
مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك
ايضا فيجتمع في حقه الامران، وان اردت معرفة اجتماعهما وعدم
تناقضهما فالواقع شاهد بذلك، فان الملك يسامح خاصته واوليا
بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم، ويواخذهم بما لا يواخذ به غيرهم
وانت اذا كان لك عبدان، احدهما احب اليك من الاخر واقرب الى قلبك او ولدان
واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان
بحسب قربه منك، وحبك له، وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك
اليه، واتمام نعمك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من هو دونه
من التنبيه، وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته
وكمال عبوديته ونصحه، وهبت له، وسامحته، وعفوت عنه بما لا
نفعله

نفعله مع غيره، فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر
اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج
اذا تعداه الى الزنا الرجم، وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد، وكذلك
ضاعف الحد على الحر الذي قد ملك نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله
مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يجعل له هذه
النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه،
فلله سر تحت كل لطيفة، فاخو البصاير غايص يتعقل،
انتهى ملخصا واما قوله تعالى، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فقيل معناه ما كنت تدري ما الايمان على التفصيل الذي شرع لك
في القران قال ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان
قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه
ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي
والواحدي، والقشيري وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان
حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي وقيل
انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي
يومن ابو طالب، او العباس، او غيرهما وقيل المراد به شرايع الايمان
ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايمانا بقوله وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد
به المخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه

صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وروى
ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت
وثنا قط قال لا قال هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي
هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان **وقد ورد**
ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان
والغسل من الجنابة وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب الاوثان
ويعيبها ولا يعرف شرايع الله التي شرعها لعباده على لسانه
فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان
الذي هو الاقرار بالله لان اباه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون
بالله ويحجون مع شركهم انتهى **المقصد السابع في وجوب محبته
واتباع سنته والاقتدا بهديه وطريقته وفرض محبة آله
واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله**
فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول **الاول في وجوب
محبته واتباع سنته** والاقتدا بهديه وسيرته صلى الله
عليه وسلم **اعلم** ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي
فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون
وعليها تفانا المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت
القلوب وغذا الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها
فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات

والشفا

والشفا الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر
بها فعيشه كله هموم والام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات
والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال
السايرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس بالغيه وتوصلهم
الى منازل لم يكونوا لولاهي واصليها وهي مطايا القوم التي سراهم
في ظهورها دايما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم
الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم
من معية محبوبهم اوفر نصيب **وقد قدر الله** يوم قدر مقادير
الخلايق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيا لها نعمة على المحبين
سابغة لقد سبق القوم السعادة وهم على ظهور الفرش نايمون ولقد
تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المذلل . تمشي رويدا وتجي في الاول

اجابوا موذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا نفوسهم في طلب
الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم لها بالرضا والسماح وواصلوا
اليه المسير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول
مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح **وقد اختلفوا** في المحبة
وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال
وانما هي اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمرتها دون حقيقتها
وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة

من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن
التعبير عنه وهذا كقول صاحب مدارج السالكين تبعا لغيره المحبة
لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها
ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما تكلم الناس في اسبابها
وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم
ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت
الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا
لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحا التي هي من
اقصى الحلق والبا الشفهية التي هي نهايته فللحا الابتدا وللبا الانتها
وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه وانتهاءها
اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة
لشدة حركة مسماها وقوتها واعطوا الحِب وهو المحبوب حركة
الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم والسنتهم
فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ
والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات
وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب اثارها
وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة
الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها
محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفناء في

المحبة

المحبة وهو ان تمحو صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا
يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه
واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من
حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها
والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا
منه ولو ناله من محبوبه ايسر شي لاستكثره واستعظمه ومنها
استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب
اي الدوام عليها
من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة
المعصية المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها
ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شي وهو لسيدنا
ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد
ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك
لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك
الا ما اعطاكه فتاخذه منه له ومنها ان تمحو من القلب ما سوى
المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره
ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه
مثلك وهو للشبلي ومراده احتقار نفسك واستصغارها ان يكون
مثلك ممن يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن
المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني

فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ولكن عند
استيلا سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة
للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشي بكليتك ثم ايثارك له على نفسك
وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه
قاله الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا صحوا
صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة
لا يوصف وانشد بعضهم

فاسكر القوم دور الكاس بينهم ... لكن سكري نشا من رؤية الساقي

ومنها سفر القلب في طلبه وهو الشوق الى لقايه واما لهج اللسان
بذكره فلا ريب ان من احب شيا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق
الانسان كحب الصورة الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك
من الملاذ التي لا يخلو اكل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لما
لاستلذاذ بادراكه بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له من
جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب
من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما
فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا
فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا يدوم فما بالك
من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفني
ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة

[illegible]

محبته

حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق
والتكريم والمانح لجوامع المكارم والفضل العميم ولقد اخرجنا الله
به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات
المعارف والايقان فهو السبب لبقا مهجنا البقا الابدي في النعيم
السرمدي فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا
فلا منة وحياته لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله
لدينا فكيف ننتهض بشكره او نقوم من واجب حقه بعشار عشره
فقد منحنا الله به منح الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه باطنة
وظاهرة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا
لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في كل
منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان
١٢ انس ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده
والناس اجمعين رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد
له والد من غير عكس وفي رواية النساي تقديم الولد على الوالد
وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب
عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل
من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز
على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسك ولذا

لم يذكر النفس في حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد
من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب
الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة
والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام
القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى
التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا
لان اعتقاد خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك
الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري
في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب
قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين
جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة
ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا
وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى
اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام
لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك
واما وقوف عمر في اول امره واستثناوه نفسه فلان حب الانسان

الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع ...

نفسه

٥٦

نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد عليه
الصلاة والسلام حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها
عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل
فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه
لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه
الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر اي الان عرفت
فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا
واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب
تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها
وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون
احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين
جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك والشيء قد يحب
من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه
الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو المحبة
والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعرض الانسان على نفسه ان لو خير بين فقد غرض من اغراضه
وفقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت ممكنة فان كان فقدها
ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف

بالاحبة المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال
القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شي من تلك المحبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان
مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن كثيرا
منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها
على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد
رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا
الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكر
لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات
انتهى فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها
والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار
ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير
الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم
في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحاق
القاضي عياض مما حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها
واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة
بعدك جلل يعني صغيرة رواه البيهقي في الدلايل وذكره صاحب

اللباب

٥٤

اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد صلى الله عليه وسلم وكثرت
الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها
وابنها وزوجها وابيها قتلى لا تدري بايهم استقبلت فكلما مرت
بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك
وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى
ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه
ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذ اسلمت من عطب
وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه في وقال عمرو بن العاص
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا
وامهاتنا ومن الما البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة
بفتح المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان
ابن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب الان ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب
عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس
يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وروى مما ذكره القاضي عياض ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك

فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا فدعا به
فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرق فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك
فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وذكره
البغوي في تفسيره بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض
ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة
ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول والكلبي عن ثوبان وقال
قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت
في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية وذكر
ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي
ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت او قال ان سوف
اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك

قال

قال بكيت وذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان
دخلنا الجنة دونك فلم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم اليه بشيء اي لم
يرجع بقول فانزل الله الاية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل
هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي راى الاذان
وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي
محمدا احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة
تقتضي توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه احد المحبين فانهما لا يجتمعان في
القلب والانسان عند محبوبه كاينا ما كان كما قيل

انت القتيل باي من احببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

ولبعض الحكما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع
لحبيبين وكذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شيء سواه
فمن داهن في المحبة او داجا فقد عرض لهذا الغيرة او داجا لمحبة الرسول
عليه الصلاة والسلام بل تقديمه في الحب على الانفس والاباء والابناء لانه
الايمان لانها اذ محبته من محبة الله وقد حكي عن ابي سعيد الخراز
مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال
لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من الانصار
معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابي المجد سيدي ابراهيم الدسوقي

دفعه
فليختر ٢
تثنية عضب وهو السيف القاطع ٢
ازدادي ٣
العوص

الا يا محب المصطفى زد صبابة ، وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ،
ولا تعبأن بالمبطلين فانما ، علامة حب الله حب حبيبه ،

وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله فمن رضي بالله ربا رضيه له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ويوثر ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله اكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسانه وفي قوله عليه السلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت له لازم ذلك الشي واضافه له وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على المحسوسة وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم

لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح صح

اهل

٥٦

اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة ومن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه (اي فرحاه)

، غدا القى الاحبه ، محمدا وصحبه ، ،

فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي (قيل انه عباد بن بشر) الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة وراى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك ولا ذاك الا لحلاوة الايمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل فراهما فنبل الجاسوس القوس ورمى به الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثالثة فاصابه فبعد ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذاك الا لشدة الحلاوة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا حكي عن كثير من اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضو

الا من المخرجين بلفظه ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في
غزوة ذات الرقاع فرمي رجل بسهم فنزف الدم فركع وسجد ومضى في صلاته
وقد وصله ابن اسحاق في المغازي فقال حدثني صدقة بن يسار
عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود والدار
قطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق
قال في فتح الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف
راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه اختصره
او للخلاف في ابن اسحق واخرجه البيهقي في الدلايل من وجه اخر وسمى
احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة
الكهف وانما قال مما سواهما ~~ولم يقل ممن~~ لانه اعم من يعقل ومن لا يعقل
وفي قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه
لا باس بهذه التثنية واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بئس
الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هاهنا
فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل
انه من الخصايص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان
غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه
ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين
هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايما الى ان المعتبر هو

المجموع

المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط
بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك
ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع
متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما
امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية
اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم
ويشير اليه قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر منكم لانهم لا استقلال لهم
في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي
كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيحين ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان طعما وان
القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي
صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب
ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة
تارة كما قال ذاق وقال ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما
نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى
وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسياتي تحقيق
الكلام على هذا ان شا الله تعالى في الصوم في مقصد عباداته عليه الصلاة
والسلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب تكون نسبته

اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما
قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبهه
والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذا الحال فباشر الايمان قلبه
حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته وقال العارف بالله الشيخ
الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث اشارة الى ان
القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم النفوس بملذوذات
الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا
استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش
وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان
له الرضى من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف
احسانه عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا
من خزائن المنن فلما واصلته امداد الله وانواره عوفي قلبه من الامراض
والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته
لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام
دينا لانه رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم
من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب باداب ويتخلق باخلاقه
زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن
اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا

وحبا

بملذوذات المعاني كما تتنعم

وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن
رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال
ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا
ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا به انتهى ملخصا واعلم
ان محبة الله تعالى على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث
على ادا ما فرضته عليه الاوامر والانتها عن المعاصي والرضى بما يقدره
فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله
حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار
منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم على المعصية
والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف
بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه فيما يرويه عن ربه تعالى
انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضته عليه وفي رواية
بشي احب الي من ادا ما افترضته عليه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي
يبطش وبي يمشي ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه وما
ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره
الموت واكره مساته ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي

من الفرايض

لان اداء الفرض احب الاعمال الى الله تعالى ورد على هذا فقد استشكل كون
النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض **واجيب** بان المراد من النوافل اذا
كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان في رواية ابي امامة
ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك **او يجاب**
بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض
وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرايض ودام على اتيان النوافل
من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى **واستشكل**
ايضا كيف يكون البارى جل جلاله سمع العبد وبصره الى اخره **اجيب**
باجوبة **منها** انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره
في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح **ومنها**
ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى
الا ما امرته به **ومنها** ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده
ورجله في المعاونة على عدوه **ومنها** انه على حذف مضاف اي كنت حافظ
سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك
الى اخره قاله الفاكهاني **قال** ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله
وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان
املي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة
كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا يمد يده
الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك **وقال** غيره اتفق العلماء ممن يعتد

بقوله

بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته
حتى كانه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا
وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية
زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون والملحدون
علوا كبيرا **وقال** الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح
في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة
وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء
حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي
كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه
من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات
انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانه يفنى عن نفسه
جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب لنفسه
وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى الاوجه كلها
فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية
الحديث ولئن سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا **وقال** العلامة
ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع
كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء الفرائض
والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير
محبوبا لله فاذا صار محبوبا اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه

فوق المحبة الاولى فتشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير
محبته وملكت عليه روحه ولم يبق منه سعة لغير محبوبه البتة فصار
ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه
استيلا المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى حبه
كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر
به وان نظر به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه
والباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار
عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة قال الا بدّ من الكلالك ولما حصلت
الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه
ومطالبه فقال ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي
كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الى بمحابي فانا اوافقه
في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به ويستعيذني ان يناله
وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه
في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره
مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه
ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه
ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده
اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى وقال
الخطابي في التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الامور غير

سائغ

سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام
عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه
مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه
ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب
الفناء على خلقه واستاثر بالبقاء لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت
رسلي في شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المومن قال في قصة موسى
عليه الصلاة والسلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة
بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد
ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة
الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل
متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته
في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب
عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه للقائه ما يشتاق معه الى الموت
فضلا عن ازالة الكراهة انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة
رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم
اليه واطمانت قلوبهم به واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب
فاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته
كلها هموم وغموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولم يصل
العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي

اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه
شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية
ويداب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات
الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها
الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو الذلك قلبه بذكر ربه ومحبته
والانابة اليه ويخرج من بيوت طبعه ونفسه الى فضا الخلوة بربه وذكره
كما قال ؛ واخرج من بين البيوت لعلني ؛ احدث عنك النفس بالسر خاليا ؛
فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا
صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله
امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله
وهاديه فيطالع سيرته ومبادي اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف
صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه
وعباداته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله به
مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك
فتح الله عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد
قلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفات
والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفا
من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها
الاقتدا به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه

وسيرته

وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم اية محبة العبد ربه وجعل جزا العبد على حسن متابعة الرسول
محبة الله تعالى اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده
المحاسبي في كتاب القصد والرجوع ؛

؛ تعصي الاله وانت تظهر حبه ؛ هذا لعمري في القياس بديع ؛
؛ لو كان حبك صادقا لاطعته ؛ ان المحب لمن يحب مطيع ؛

وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة
والباطنة فبقدر مطالعة ذلك يكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة
منة الله على عبده منة تاهله لمحبته ومعرفته ومتابعته حبيبه صلى الله
عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فاذا دار
ذلك النور اشرقت له ذاته فراى في نفسه وما اهلت له من الكمالات
والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات
نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد احدهما الاخر
فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول ؛

؛ نقل فوادك حيث شيت من الهوى ؛ ما الحب الا للحبيب الاول ؛
؛ كم من منزل في الارض يالفه الفتى ؛ وحنينه ابدا لاول منزل ؛

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما
فليس الشان ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت

اي خبره اي اوامره

حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته امرا واجبته دعوة
واثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته
وعن طاعة غيره بطاعته وان لم تكن كذلك فلا تتعن فلست
على شيء وتامل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله اي الشان في ان
يحبكم الله لا في انكم تحبونه وهذا لا ينالوه الا باتباع الحبيب وقال
المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل
اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه
ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت الجوارح
الى طاعة الله فح يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد
برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب
الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء القلب وسروراته
وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية
فلا يجد في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن انس مرفوعا ومن
احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء من
الزم نفسه اداب اتباع السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف
من متابعة الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه وقال ابو اسحق
الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعة الله ومتابعة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شيء من نور الايمان

الا

٦٢

الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم
يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا
اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا
بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني
ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي
بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان
موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا
بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون معه
ولهذا قال له انت موسى بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم
مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى
وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى
او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد شهادة الحق
فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله
تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني
الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم
التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي
ابن ابي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني

الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصاير وشفا الصدور
ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المتوحشين ودليل المتحيرين ومن
علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى
قال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد
في صدره حرجا من قضا به ولم يسلم له وقال شيخ المحققين وامام العارفين
تاج الدين بن عطا الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الاية دلالة
على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على
نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم
التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مومن في كليهما فاحكام
التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف
هو ما اورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة
الايمان الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى
لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم او حكم ووجد الحرج في نفسه حتى اقسم
على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رافة وعناية
وتخصيصا ورعاية ولانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تاكيد بالقسم وتاكيد في القسم علما منه
سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة
سوا كان الحق لها او عليها وفي ذلك اظهار العناية برسوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاه قضاه فاوجب على العباد الاستسلام
لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالهيته حتى يذعنوا لاحكام
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاوه قضا الله كما قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى
الى تعظيم قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك
فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده
زكريا فاضاف الحق نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم واضاف زكريا اليه
ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم ان الله
تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقدان
الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سوا
كان الحكم بما يوافق اهواهم او بخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار
ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك
اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور
الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات احكامه
مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى قال سهل بن عبد الله من لم
ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة
سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال

حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شي انتهى فمن اثر هذا النبي الكريم
على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له
خفايا حقايق اسرار انسه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم
نصرة دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود
والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة
وتقدم في كلام العارف ابن عطا الله منزلة لذلك فمن جاهد نفسه على ذلك
وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين
واثره على اغراض الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي
عن المصايب فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها
ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى
سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب اعظم من الالتذاذ بحظوظه
وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة موجود ممزوج بالحلاوة
فاذا افقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

• تشكى المحبون الصبابة ليتني • تحملت ما يلقون من بينهم وحدي •
• فكانت لقلبي لذة الحب كلها • فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي •

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيا اكثر
ذكره ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولاخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس
ولغيره للمحب ثلاث علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه
وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق

الدوام

الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون • وقد اجمع المحبون على ان من احب شيا
اكثر من ذكره • فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا
يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ
المتلذذون بشي الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم
ذكر المحبوب عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخاير وبغية
الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد
وتغير اللون واستبسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح
وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط • ولسيدي محمد وفا •

• اذا باح دمع المهجور هاجره • فباح المحب بما تخفي ضمايره •
• اليكم الحب صب باح مدمعه • بما جرى بالذي تخفي سرايره •
• كانما قلبه اجفان مقلته • ودمعه من اماقيه خواطره •
• يا جيرة الجزع هل للجيرة لفتى • عليه في حكمه قد جار جايره •
• اه وكم لي على خطب الهوى خطب • من الغرام به تعلو منابره •
• مهفهف لاح بدر على غصن • تخفى البدور اذا لاحت بوادره •
• مطرز الخد بالريحان في ضرج • مورد انسه تزهو ازاهره •
• مكمل الحلو ما تحصى خصايصه • منضر الحسن قد قلت نظايره •

وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول تقدم من ايمان المحبة بذل الروح فما
للمفلس الجبان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها
المفلسون • ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد انشهد للعرض

في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتاخر البطالون
وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت
في يد اذلة على المومنين اعزة على الكافرين **ومن علامات** محبته عليه الصلاة
والسلام تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع
سماع اسمه فكل من احب شيا خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه
خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم
يفعلون ذلك محبة وشوقا او تهيبا وتوقيرا **وقال** ابو ابراهيم التجيبي
واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتادب بما ادبنا الله تعالى به **وكان ايوب** السختياني اذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه **وكان** جعفر بن محمد كثير الدعابة
والتبسم فاذا ذكر النبي عنده صلى الله عليه وسلم اصفر لونه **وكان**
عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ننظر الى لونه كانه
قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم **وكان** عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع **وكان** الزهري من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته ولا عرفك **وكان** صفوان
ابن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى
فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه **وكان** قتادة اذا سمع الحديث

اخذ

العويل البكا بالصياح والزويل الاضطراب والقلق

اخذ العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض **ومن علامات** محبته
صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقايه اذ كل حبيب يحب لقا حبيبه وجعلهم
المحبة الشوق الى المحبوب **وعن** معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة
الصفات او مشاهدة اسرار الصفات فيري بلوغ السول ولو بمشاهدة
الرسول ولهذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذا اشتد بهم الشوق وازعجتهم
لواعج المحبة فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته
وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم
وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك
حتى يغلبه النوم **ولما** احتضر بلال نادت امراته فقالت واحرباه
فقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وصحبه اذا ذاق القلب طعم المحبه
اشتاق وتاججت نيران المحبه والطلب في قلبه ويجد صبره من اعظم كبائره
كما قيل • والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يحمد •
وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا
في بيت فاذا عجوز تنفش صوفها وتقول •
• على محمد صلاة الابرار • صلى عليه الطيبون الاخيار •
• قد كنت قواما بكا بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار •
• هل تجمعني وحبيبي الدار • تعني النبي صلى الله عليه فجلس عمر يبكي •

ثم قام علي باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقالت لها اعيدي
علي قولك فاعادته بصوت حزين فبكى عمر وقال لها وعمر لا تنسينه يرحمك
الله وقالت وعمر اغفر له يا غفار **وحكي** انه رويت امراة مسرفة
علي نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي قيل بماذا
قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت
من اشتهي النظر الي حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين محبه
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القران الذي اتاه به وهدي
واهتدي به وتخلق به **واذا** اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من
محبة الله ومحبة رسوله فانظر محبة القران من قلبك والتلذذ بسماعه
اعظم من التلذذ بسماع الملاهي والغنا المطرب بسماعهم فانه من المعلوم
ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي ۞ اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي

ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا ما شبعت
من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه **قال**
النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك
انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرا سورة النساء حتى
اذا بلغ فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك علي هولا شهيدا قال
حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان
من البكا رواه البخاري وهذا حبه من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه

قال

قال الله تعالي واذا سمعوا ما انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق **قال** صاحب عوارف المعارف اذا اذاقنا الله
تعالي حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان
من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته علي
برد اليقين فيفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة
يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع
هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكي وادمع لان الحرارة
والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف المامه
فيظهر اثره في الجسد ويقشعر من الجلد **قال** الله تعالي تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره اي يصعد
نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الي الروح
فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك
الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال
وقد كان ابن عمر رضي الله تعالي عنهما يمر باية يوردها فتخنقه العبرة
ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا **وقد كان** الصحابة اذا
اجتمعوا وفيهم ابو موسي يقولون يا ابا موسي ذكرنا ربنا فيقرا وهم يسمعون
فللمحبين السماع القراني من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور
اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه وتشاقه في سماع الابيات دون سماع الايات وفي سماع الالحان

دون سماع القران كما قيل

تقرا عليك الحكمة وانت جامد كالحجر ❊ بيت من الشعر يميل كالنشوان

فاعلم انه هذا امن اقوي الادلة علي فراغ قلبه من محبة الله ورسوله
ادام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته بمنه ورحمته
ومن علامات محبته صلي الله عليه وسلم محبة سنته وقراة حديثه فان من
دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او حديث رسوله
صلي الله عليه وسلم تنشرح بها روحه وقلبه يقول

انتم منك سيما لست اعرفه ❊ كان لنا جرت بك ازمانا

فتعمه تلك النعمة وتشمله بحيث يصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا
فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول لحبيب جيا له نصب عيني سره
في ضمايري مدفونه . ان تذكرته فكلي قلوب او تاملته فكلي عيون فح
يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور
البراهين ويرجي بري عطف محبوبه الذي لا شي ادوي لقلبه من عطفه
عليه ولا شي اشد للهيبة من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار
باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة
بروية الله تعالي وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني
لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علامات محبته صلي الله عليه
وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف
وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق روحه وقلبه وسمعه وسبب

هذا

هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه
الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت
اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان قويا مستحكما
لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد
حدوا السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقي في السكران بقية
يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يفقد رانه يغني معها وقد يكون
سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله
بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر
هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا
غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب الدم
فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة
بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة
فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فتصور في نفسك حال الفقير
معدم عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولي عليه امنا
مطمينا كيف تكون سكرته او من غاب عنه غلامه بماله العظيم مدة سنين
حتي اضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب
اضعافه ومن اقوي ما يحصل به من سماع الاصوات المطربة بالانشاد
بالصفات النبوية المعتبرة اذا صادفت محلا قابلا فلا تسال عن سكرة
السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احداهما انها في نفسها

توجب لذة قوية يتنعم بها القلب **الثانية** انها تحرك النفس الى محبوبها
وجهته فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب
واحضاره في النفس وادنائه صورته الى القلب واستيلائها على الفكر لذة
عظيمة تغمر القلب فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح
سكرا عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاط الذ من
نشاط الشراب **وقد ذكر** الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول
لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف
وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش
ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم
من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك
رويته وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رويته عن روية الجنة ونعيمها
فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة **وهذه** صفة لا تطلع
على ادني وصبي لا يجري محل ارض وعين لا يشوب منها كل وارد وسماع لا يطرب
عليه كل سامع وما يدة لا يجلس عليها طفيلي اشار اليه في المدارج فمن
اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة ولا يخرج عن اسمها
بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حد في الخمر لما لعنه بعضهم وقال
ما اكثر ما يوتي به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله
مع وجود ما صدر منه **وفيه** الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر
لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعا له **وفيه** انه لا تنافي

بين

بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من
تكررت منه المعصية لا تنزع محبة الله ورسوله منه **ويحتمل** ان يكون
استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم
على وقوع المعصية واذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور
بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشي بتكرار الذنب ان يطبع قلبه
حتى يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك
سنته بمنه ورحمته **تنبيه** قد اختلف العلما ايما ارفع درجة المحبة
او درجة الخلة **فحكي** القاضي عياض ان بعضهم جعلها سوا فلا يكون
الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله
عليه وسلم بالمحبة **وقال** بعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقوله
عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه **وقد** اطلق
المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وهذا هو الظاهر من المعني الاخص
لان المحبة ماخوذة من معني الخلة **لكن** يرد ما روي في قصة الاسرا
في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى لحديث قال له تعالى يا محمد سل
فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسي تكليما فقال له تعالى
الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او كما في معناه
رواه البيهقي بمعناه **وهذا** يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج
من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بوجوه كثيرة ذكر القاضي عياض
في الشفا منها نقلا عن ابي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة **منها**

ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ومنها
ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله
ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين
من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي كتابي تحفة
السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي
عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضى
الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلولي خليل
وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل
ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل
منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث ابراهيم ابي هريرة
قول الله تعالى اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا
صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله تعالى مطلقا
واما قوله ان الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع الخ فانه لا يصلح
ان يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره
انه يقتضي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة
والسلام في حد ذاته في غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف

المحبة

المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة اعلا واكمل ما فضل
من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من
الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمدا حبيب الله فمن جهله فان المحبة
عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه
مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا
فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب
المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين
قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى
وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم
بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله
وضعف بان الخلة خاصة وهو توحيد الحب والمحبة عامة قال الله
تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا
خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى الفصل

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فريضة وفضيلة

وصفة ومحلا قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى
صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه عليه عند الملايكة ومعنى صلاة
الملايكة عليه الدعا قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى

ابن حجر

صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم
طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة
وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعا بخير بالبركة وروى
ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال الصلاة الله تعالى مغفرته وصلاة
الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته
وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعا اخرجها اسمعيل
القاضي عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها وقال المبرد
الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعا الرحمة
وتعقب بان الله تعالى غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه وتعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة
من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سالوا عن كيفية الصلاة
مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جا بلفظ السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم
فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام
وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل
صلاة الله على خلقه تكون خاصة، وتكون عامة فصلاته على انبيائه
هي ما تقدم من الثنا والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي
وسعت كل شي وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه
وسلم وبين ساير المومنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب ان الله وملا
يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي
يصلي عليكم وملائكته، ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله
عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان
في هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس
في غيرها وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه
في الدنيا باعلا ذكره واظهار دينه وابقا شريعته وفي الاخرة باجزال
مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا
فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ادعوا ربكم بالصلاة عليه
عطف اله وازواجه، وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعى لهم بالتعظيم
اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وبما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل
به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله تعالى والى ملائكته والى المومنين
المامورين بذلك بمعنى واحد ويويده انه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبيا
واختلف في جواز الصلاة على غير الانبيا ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد
ارحم محمدا وترحم على محمد جاز لغير الانبيا وكذلك لو كان بمعنى البركة وكذلك
الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع

وهو التعليم

بطريق التعبد فلابد من الايمان به ولو يسبق الايمان بما يدل عليه
فان قلت في اي وقت وقع الامر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل
وقيل في ليلة الاسرا **وقيل** ان شهر شعبان شهر الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة عليه يعني ان الله وملائكته يصلون
على النبي نزلت فيه والله تعالى اعلم **وقال** الحليمي والمقصود بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضا حق
النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام في الباب الثامن من كتابه
المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة
له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا
عنها كافاناه بالدعا فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا صلى الله عليه
وسلم الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني **وقال**
ابن العربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على
نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة
والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم **واختلف**
في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على اقوال **احدها** انها تجب
في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء مرة **الثاني** يجب الاكثار منها
من غير تقييد بعدد **قاله القاضي** ابو بكر بن بكير من المالكية **وعبارته**
كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله

عليه

عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم **فالواجب**
ان يكثر الانسان منها ولا يغفل عنها **الثالث** يجب كلما ذكر قاله الطحاوي — في
وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية **وقال** ابن العربي من
المالكية انه الاحوط **وكذلك** قال الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث
من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان
من حديث ابي هريرة **وحديث** رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي
رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم **وحديث** شقي
عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا
بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد على الترك من علامات الوجوب
ومن حيث المعنى فان فايدة الامر بالصلاة عليه مكافاته على احسانه
واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه كان كاحاد
الناس **واجاب** من لم يوجب ذلك باجوبة **منها** انه قول لا يعرف
عن احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه
للزم المؤذن اذا اذن وكذا سامعه وللزم القاري اذا مر باية فيها ذكره — فيهما
عليه الصلاة والسلام في القران وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين — تبين
ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جات الشريعة المطهرة السمحة بخلافه
ولكان الثنا على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به **وقد اطلق**
القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف

للاجماع المنعقد قبل قايله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ولانه لو كان كذلك
لما تفرغ لعبادة اخرى **واجابوا** عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة
في تاكيد ذلك ومتابعته وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه
ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه
وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا والله تعالى اعلم **الرابع** في كل مجلس مرة اي عنده
ولو تكرر ذكره حكاه الزمخشري **الخامس** في كل دعا حكاه ايضا **السادس**
انها من المستحبات (غير من الوجوب ويلتفت اعتنابه) وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك
واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بالاتفاق (بالاتفاق) من جميع المتقدمين
والمتاخرين من علما الامة على ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون
تارك ذلك عاصيا فدل على ان (عدم تاثيره في بيان الصيغة الواردة فيها) الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله
ولو كان خارج الصلاة **قال** في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض
بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق الوجوب
واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن
ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته تجزي عن الصلاة ومع ذلك
انما ادعى اجزا السلام عن الصلاة **السابع** تجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها
ككلمة التوحيد قاله ابو بكر الرازي من الحنفية **الثامن** تجب في الصلاة
من غير تعيين للمحل ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر **التاسع** تجب في التشهد

وهو

وهو قول الشعبي واسحاق بن راهويه **العاشر** تجب في القعود اخر
الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل **قاله** الشافعي ومن تبعه واستدل
لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابن
مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه
فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا (اي وصلنا) **فقال** قولوا اللهم صل
على محمد وال محمد الحديث **ومعنى** قولهم اما السلام عليك عرفناه هو
الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده
عن ابي هريرة بمثله وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة
والبيهقي لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد
وقبل السلام **وقال** الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه في موضع اولى
منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اخبرنا
ابراهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي
هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني الصلاة قال تقولون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث **اخبرنا** ابراهيم
ابن محمد حدثني سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب
ابن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صلي

بما وصفته من ان الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الصلاة فرض ...
الصلاة والله اعلم

على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم الحديث **قال** الشافعي
فلما راى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة **وروي**
انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان تقول التشهد في الصلاة
واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة **وقد تعقب** بعض المخالفين
هذا الاستدلال من اوجه **احدها** ضعف ابراهيم بن محمد بن يحيى والكلام
فيه مشهور **الثاني** على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة
لم يصرح بالقايل يعني **الثالث** قوله في الثاني انه كان يقول
في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة لكن يحتمل ان
يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال
قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السوال وقع عن صفة
الصلاة لا عن محلها **الرابع** ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد
خصوصا بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية
وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم انه
قد تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري
والطحاوي وابن المنذر والخطابي **وحكى** القاضي عياض في الشفا
مقالاتهم **وقد عابه** عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته
عنها لان تصنيفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه
وسلم واداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض صح
المبالغة في تعظيمه وقد استحسن القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر
في تعظيمه
على

على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول
بوجوب الصلاة عليه وهو من جنس الصلاة ومقتضياتها واداء مشروع
السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا يجب
الصلاة على سيد المرسلين **وقد انتصر** جماعة كثيرة من العلماء الاعلام
للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام
والحافظ ابو الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول
عدهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية وردوا دعوى الشذوذ
فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود
البدري وجابر بن عبد الله **ونقله** اصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب
وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي وكذا
ابو جعفر الباقر ومقاتل **واخرج** الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود
قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه
قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شي يحتج به للشافعي فان ابن
مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه
قال ثم ليتخير من الدعا ما شا **فلما ثبت** عن ابن مسعود الامر بالصلاة ة
عليه قبل الدعا دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد
والدعا واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب
اليه الشافعي مثل ما ذكره القاضي عياض قال وهذا تشهد
ابن مسعود الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر لمه

الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج العمري في عمل يوم
وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة
علي واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار
التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله
يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته
وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني والصواب انه
من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي
صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن رواية عن ابي جعفر
جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار
احمد في احدى الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة
الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب اسحاق بن راهويه الاعادة مع
تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا
وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه كما ذكره ابن كثير ووافق
الخرقي اسحق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية
كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه
ابن عبد السلام يريد ان في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام ابن المواز
وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ انه يراها

فريضة

فريضة في الصلاة كقول الشافعي قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي
عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب
ورايت مما عزي للقاضي ابي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز
والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرايض الصلاة وهو الصحيح
وقد يلزم القايل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكره المطحاوي
ونقله السروجي في شرح الهداية والمحيط والعقد والتحفة من كتبهم
ان يقول بوجوبها في اخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله
لكن لهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلوه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف
الشافعي احد من اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الآل
كما حكاه البندنيجي والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي
قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على الجمهور على خلافه والقول
بوجوبه ظاهر الحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا
يعتد به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلاة
ولا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة
فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد
فلا افتقار له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه
نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صحيح عنهم بان ذلك ليس
بواجب وانى يوجد ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي

دي

في التشهد المتقدم ذكره
صلى الله عليه وسلم

ابن محمد

الامر

في هذه المسئلة جدا فلا معنى له وابي شناعة في ذلك ولم يخالف نصا ولا اجماعا
ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القايل ولا فيها
بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العبادة
المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثنا عليه اولى بالتشنيع
واما ما نقله من الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله ان الشافعي
اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي انما اختار تشهد
ابن عباس كما سياتي ان شا الله تعالى في تتمة عباداته صلى الله عليه وسلم
وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنساي والترمذي
وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه اليه فقال اذا صلى احدكم
فليبدا بالحمد لله والثنا عليه ثم ليصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع
بما شا **قلت** ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري
ان القاضي عياض نسا في هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير
ان يطعن في سنده بعد قوله فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة
على النبي ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا
وهذا الحديث كما ترى من اعظم الادلة لنا **فان قال قايل** ليس لكم فيه
دلالة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يقل في تشهده **فيجاب**
بانه يلزم على هذا ان القاضي عياض ساقه في غير محله لانه عقد الفصل

كما

كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة **ثم قال** ومن ذلك في تشهد
الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على
انه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت
فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه **وفي** قوله عجلت استلواح
فوات الكمال عن الحقيقة الجزئية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم
والتعليم بصيغة الامر قال انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان قال نص
في الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته **فيجاب** بان في قوله
هذا غنية عن الامر بالاعادة لانه علمه ما هو الواجب علم قطعا انه
لم يات به اولا فلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم اهل الفهم والعرفان
فان قال ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره
اذا صليت وفرغت فقعدت للدعا فاحمد الله **فيجاب** بان الاصل عدمه وانما
هو عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله
اي اثن عليه بقولك التحيات الى اخرها والله تعالى اعلم **فيجاب** الجرجاني قال ص
من الحنفية وغيره لو كان فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه
عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعا ما شا
ولم يذكر الصلاة عليه **واجيب** باحتمال ان لا تكون فرضت
وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي قد ورد هذا
في الصحيح ثم ليتخير من الدعا وثم للتراخي فدل على انه كان هناك شي بين التشهد

والدعا انتهى وقد طنب الشيخ ابو امامة بن النقاش في تفسيره في
الانتصار للشافعي في هذه المسيلة بما يطول ذكره فالله تعالى
يثيبه على قصده الجميل واما صفة الصلاه عليه صلى الله عليه
وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا
اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه
البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسايي فان قلت كيف مطابقة
قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على ال ابراهيم اجاب القاضي عياض
بان الال مقحم كما في قوله عليه الصلاة والسلام في ابي موسى انه اعطي مزمارا
من مزامير ال داود ولم يكن له المشهور بحسن الصوت وقد روي هذا الحديث
ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا
معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد

رواه

٧٦

رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا
الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى
يقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم انك
حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابن مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك
قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم
وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم
مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا
صلى الله عليه وسلم وحده افضل من ال ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما

وقد اضيف اليه ال محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة
افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلما عنه باجوبة
كثيرة منها انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل
من ابراهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير
صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه افضل منه ومنها انه قال ذلك تواضعا
وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه
انما هو لاصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا باصل الصلاة صح
اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القايل احسن الى ولدك كما احسنت
الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى
وأحسن كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي
في المفهم شرح مسلم ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه
فيكون متعلقا بقوله وعلى ال محمد وتعقب بان غير الانبيا التشبيه ص
لا يمكن ان يساووا الانبيا فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة
التي وقعت لابراهيم والانبيا من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب
الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب
وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص
الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته
ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب

الركيك

الركيك البعيد من كلام العرب كذا قاله وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال
ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على ال
محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها
دفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان
ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى
مثل نوره كمشكاة واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما ان المراد
من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور
بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وال ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا
واضحا عند جميع الطوايف حسن ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل
ما حصل لابراهيم لابراهيم وال ابراهيم ويويد ذلك ختم الطلب المذكور كود
بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في
العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر ال محمد على ما وقع
في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته كونه
وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص
بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال النووي
احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل
الصلاة او للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة
الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه
وسلم من ال ابراهيم وقد ثبت عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى

ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين **قال** بعضهم ال
ابراهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى ال محمد خصوصا بقدر ما صلينا
عليه مع ابراهيم وال ابراهيم عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي
كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من ال ابراهيم وتظهر ح جليلة فايدة
التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ
وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملايكة قالت في بيت ابراهيم رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد **وقد علم** ان محمدا وال محمد
من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجب دعا الملايكة الذين قالوا ذلك في
محمد وال محمد كما اجبتها عندما قالوها في ال ابراهيم الموجودين ح ولذلك
ختم به الاية وهو قوله انك حميد مجيد **ومما يعزى** للعارف الرباني
ابي محمد المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على
ابراهيم وبارك كما باركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه
الصلاة والسلام كان التجلي له بالجلال فخر موسى صعقا والخليل عليه
الصلاة والسلام كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة من اثار التجلي
بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما
صلى على ال ابراهيم ليسالوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية
فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم
ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه الصلاة والسلام
فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف هو التجلي ولا يقتضي التسوية — بالجمال

بي

في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال للشخصين بحسب
مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب
مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه الصلاة والسلام
بالجمال بحسب مقامه (فعلى هذا يفهم الحديث انتهى **فان قلت** — ويتجلى لمحمد صلعم بالجمال بحسب مقامه
ما المراد بال محمد في هذا الحديث **فالجواب** ان الراجح انهم من حرمت
عليهم الصدقة اي الواجبة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويويده قوله عليه
الصلاة والسلام للحسن بن علي انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة **وقيل**
المراد بال محمد ازواجه وذريته **وقيل** المراد جميع الامة امة محمد — يهم
الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي
في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقيا منهم وعليه يحمل كلام من اطلق
ويويده ما رواه تمام في فوايده والديلمي عن انس قال سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل تقي من امة محمد صلى الله عليه وسلم
زاد الديلمي ثم قرا ان اولياوه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد ما — يشهد
اي اعوانه وانصاره
لذلك في الصحيحين لحديث ان ال بني فلان ليسوا لي باوليا انما وليي الله وصالح
المومنين انتهى ملخصا **وقد** استدل العلما بتعليمه صلى الله عليه وسلم
لاصحابه هذه الكيفية بعد سوالهم عنها بانها افضل كيفيات اي التابعين على
الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب
على ذلك انه لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل
الصلاة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة

بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي انه قال يعتبر اذا قال كلمة المتقدمة
ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي
وكانه اخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية في خطبة الرسالة
ولكن بلفظ غفل بدل سهى قال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير
النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك قال القاضي قال في طريق
البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله
البغوي في تعليقه ولو جمع بينهما فقال ما في الحديث واضاف اليه
اثر الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد
الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرا
يحصل منه البركات حسنا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ابراهيم انك حميد مجيد
رواه الحاكم وقد استدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم
على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي
قال اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية
منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد انتهى وسياتي ما في ذلك من
البحث ان شا الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد ومن
سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعا وفي لفظ يعلم الناس

الصلاة

79

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات
وباري المسموكات وزافة تحيتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما
اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل
كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله
تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير
من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل
عطائك المامول اللهم اعل على بنا الناس بناه واكرم مثواه لديك ونزله
واتم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني
لكن قال الحافظ ابن كثير فيه نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج
المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله
داحي المدحوات اي باسط الارضين وكل شي بسطته ووسعته فقد دحيته
وباري المسموكات اي خالق المسموكات وكل شي رفعته واعليته فقد سمكته
والدامغ لجيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل
الدمغ دمغه واصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع

اقتعل من الضلاعة وهي القوي وآوي قبسا لقابس اي اظهر نورا من الحق
لطالبه وآلاء الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك القبس وهو الاسلام
والحق اهله واسبابه المومنون وبه هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم اي اهتديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونيرات
والمنيرات الواضحات يقال نار الشي وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين
يريد الشاهد على امته يوم القيامة وبعيثك نعمة لعبيثك فعيل بمعنى
مفعول وافسح له اي وسع له في عدنك اي في جنتك جنة عدن والمعلول
من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاه مضاعف كانه يعل
به عباده اي يعطيهم عطا بعد عطا واعل على بنا الناس وفي رواية البانين
اي ارفع فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه
والخطة بضم الخا المعجمة الامر والقصة والفصل القطع وعن عبد الله
ابن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حديث
موقوف رواه ابن ماجة وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد
المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني
قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال له بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه
امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم
تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واعطه سوله
في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل القاضي قال
ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع فيها
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهي واجبة
فيه كما قدمناه وفي وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع
لبنايه على التخفيف بل هي سنة وفي استحباب الصلاة على الال في التشهد
الاول القولان وفي وجوبها في الاخير روايات اصحها المنع بل هي سنة
تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال وآله
وقال في الكفاية باعادته على ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من
الخطب فلا تصح خطبة الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط
فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي
واحمد ومنها عقيب اجابة المؤذن رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو

ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول المؤذن ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه
بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة
وذكر بلفظ الرجا وان كان محقق الوقوع ادبا وارشادا وتعليما منه
وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكن الطالب للشي
بين الرجا والخوف **وقوله** حلت عليه (اي غشيته) الشفاعة اي وجبت **وقيل**
غشيته ونزلت به **تنبيه** قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث
الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم اره في شي من الروايات
واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا
من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت
له شفاعتي يوم القيامة **قال** وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض
نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة
المعتمدة علم عليها كانها بما يشير الى الشك فيها ولم ارها في ساير النسخ
الشفا بل في الشفا عقد لها فصلا في مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا
صريحا وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم **ومنها** اول الدعا واوسطه
واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

(اي المسافر)
قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره **ومنها** وهو من
اكدها عقب دعا القنوت لما رواه احمد واهل السنن وابن خزيمة
وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن بن علي قال علمني
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي
فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه
لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه (ولا يعز من عاديت صح)
وصلى الله على النبي وسياتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شا (الله)
تعالى **ومنها** اثنا تكبيرات العيد لما روى اسمعيل القاضي ان ابن
مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال
ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدا فتكبر
تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك
ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرا ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر
وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر
وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو
عبد الرحمن **قال** ابن كثير اسناده صحيح **ومنها** عند ختم

المسجد والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرا الفاتحة
بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى اولى وان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة
يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه
الشافعي والنسايي ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدار
قطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يومر الرجل اذا فرغ
من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها
عند الصفا والمروة لما روى اسمعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال
اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا
فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات بين حمد
وثنا عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك
وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها
عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم
يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة (اي النقص من حرمان الثواب) فان شا عذبهم وان شا غفر لهم
وروى اسمعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون

ولا

ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا
الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمسا لما روى
الطبراني من حديث ابي الدردا مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين
يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضو لحديث
ابن ماجة عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا وضو لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين
الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم
فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها
عند نسيان الشي لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف عن انس
يرفعه اذا نسيتم شيا فصلوا علي تذكروه ان شا الله ومنها
بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم
في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل
والشرب والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف
لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وروى ابن عساكر من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار
منها يوم الجمعة وليلتها فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه
قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة (اي الهلكة) فاكثروا من الصلوة فيه فان صلاتكم

(اي عند ختامه منه ومع الصلاة عليه قراءة سورة انا انزلناه)

معه وضنه على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت
يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا رواه
احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان
والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه
ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن اسناده ضعيف فان قلت
ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه مزية فيه
مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا
والاخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين
خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم
الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم
اذا دخلوا الجنة وهو يوم عيدهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى
بطلباتهم وحوايجهم ولا يرد سايلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم
بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه
وسلم ان نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته واما فضيلة الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية
لم يخرج البخاري منها شيا امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة
عن

المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

82

عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي
صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه
وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت
عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله
عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني
وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال ابن كثير وقد اختار
هذا الحديث الحافظ الضيا المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين
وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم
والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور
في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز
وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا
ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه
الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن
عبد الله بن عمرو بن العاصي من صلى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة صلى الله عليه وملايكته بها سبعين صلاة فليقلل
عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه
الخيرة في الخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله

عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملايكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجه من حديث شعبة
وعن

وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي ان ابي بن كعب قال
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك (اي من الدعا لك وهي الصلاة اللغوية) فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت
قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك
ويغفر ذنبك ثم قال (اي الترمذي) هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة
واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل
بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه
بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة
كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم
الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه
لكن قال في فتح الباري انه يكره ان تفرد الصلاة ولا يسلم اصلا
اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال
ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب
ولا يفرد به غير الانبيا فلا يقال علي عليه السلام سوا في هذا
الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك
او عليكم السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد

جرت عادة (بعض) النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله
عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر
الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوى
بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك (اي في ترك ذلك) فان هذا من باب التعظيم والتكريم
واما الصلاة على غير الانبيا صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها
واخرج البيهقي بسند واه (اي ضعيف) من حديث بريدة رفعه لا تتركن في
التشهد الصلاة علي وعلى انبيا الله واخرج اسمعيل القاضي بسند
ضعيف من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبيا الله
فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك
بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة
عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي على احد من احد الا على الانبيا النبي صلى الله
عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجا نحوه عن عمر
ابن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي وعن بعض
شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف
عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبيا ولا ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج بان الصلاة دعا
بالرحمة فلا تمنع الا بنص او اجماع واما الصلاة على غير الانبيا فان كان
على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه
فهذا جايز بالاجماع واما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة

عليهم فقال القائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته وبقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله
تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث
عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم
صل على آل أبي أوفى أخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز
إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا
فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم أو قال علي
صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان
عزيزا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك
من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعار آل أبي أوفى
وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على
غير الأنبياء قد صار من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم
فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو
من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الأولى على ثلاثة أقوال حكاها
النووي في كتاب الأذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثرون
أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة أصحابه عليه السلام والصحب
وقرابته وأهل بيته وذريته قال الطبري

اعلم

اعلم أن الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه
وخصه بما عمه به من جميع فضله البالغ أعطاه وحباه أعلى بمركته من انتمى
إليه نسبا أو نسبة ورفع من انطوى عليه منصره وصحبه وألزم مودة
قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته تعالى
تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وروي أنها لما نزلت
قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقال الله
تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقد اختلف في المراد بأهل البيت في هذه الآية فروى ابن أبي حاتم
عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني أن الآية نص في دخول
أزواجه صلى الله عليه وسلم لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب
النزول داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح
وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء باهلته
أنها نزلت في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المراد أنهن كن سبب
النزول دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد ورد في ذلك أحاديث
تدل على أن المراد أعم من ذلك فروى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ

المباهلة أنه إذا اختصم شخصان فالكاذب ... لعنة الله على الكاذب والآخر يجوز له ذلك

كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس
حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساه
ثم تلى هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال اللهم هولاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير
فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة
وانها لمن ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في بيتها اذ جات فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها
فقال ادعي زوجك وابنيك قال فجا علي وحسين وحسن فدخلوا عليه
فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة وتحته كسا قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله
عز وجل هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا قالت فاخذ فضل الكسا فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها
الى السما ثم قال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم
يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفي اسناده
من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وخاصتي بالتشديد اي خاصتي
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية
في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه احمد
في المناقب والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله

صلى الله

اهل م

٨١

صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس
انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني
تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور
فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه
ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات
فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساوه من اهل بيته قال بلى ان نساه
من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم
قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال كل هولا حرم عليهم الصدقة
قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما في القاموس كل شي نفيس مصون قال
ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وهي بكسر المهملة
وسكون المثناة الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى وليس المراد بالاهل
الازواج فقط بل هم مع الاولاد ولا يشك من تدبر القران ان نسا النبي
صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن
ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة
والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم
بالميم خاصة ولو كان للنسا خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب
بلفظ الصلاة التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد
بالال في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره

قال في النهاية في الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لان الاخذ بهما والعمل بهما ثقيل ويقال لكل خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين اعظاما لقدرهما وتفخيما لشانهما كذا نقله المولف بالهامش

به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق والله اعلم ولله در القايل

بال البيت رسول الله حبكم ، وفض من الله في القران انزله

يكفيكم من عظيم الفخر انكم ، من لم يصل عليكم لا صلاة له

واخرج احمد عن ابي سعيد معني حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك ان ادعا فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السما الي الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشي المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلي الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وهذا قاله علي سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته منه من تركة النبي صلي الله عليه وسلم وتحري منه علي موجب الايمان لانه عليه السلام شرط الاحبية فيه علي النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول ولعز هذا المقصد ثم انه صلي الله عليه وسلم اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا علي ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

ولقد احسن القايل

رابت

٨٧

رابت ولائي الطه ونصبه ، علي رغم اهل البعد يورثني القربي

فالطلب المبعوث اجرا علي الهدى ، بتبليغه الا المودة في القربي

وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لا احد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروي ابن سعد من صنع الي احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافي له يوم القيامة والمراد بالقرابة من ينسب الي جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلي الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر او انثي وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلي وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه

تموا بتمام فصاروا عشرة ، يارب فاجعلهم كراما بررة

ويقال ان لكلهم رؤية وكان له من الاناث ام حبيبة وامينة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومعتب بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث ونوفل بن الحرث وابنه وكان يلقب ببه بموحدتين الثانية ثقيلة واميمة واروى وعاتكة

وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت **وفي الباقيات** خلاف
والله اعلم **وفي البخاري** من حديث سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي **وفي لفظ**
اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى اي بان لا مني منزلة هرون من موسى
وفيه تنبيه منهم بقوله الا انه لا نبي بعدي يعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة
النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة **ولما كان هرون المشبه به** انما كان
خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم
بحياته والله اعلم **واما ما استدل به** من هذا الحديث على استحقاق علي
للخلافة دون غيره من الصحابة فان هرون كان خليفة موسى **فاجيب**
بان هرون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل
موسى باتفاق اشار الى ذلك الخطابي **واما حديث الترمذي** من والنسائي
من كنت مولاه فعلي مولاه **فقال الشافعي** يعني بذلك ولاء الاسلام **كقوله**
تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم **وقول عمر** اصبحت
مولى كل مؤمن اي ولي كل مؤمن **وطرق** هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها
ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان **وروي**
انه صلى الله عليه وسلم قال من اذا عليا فقد اذاني خرجه احمد **واخرج**
المخلص الذهبي من احب عليا فقد احبني **وقد ذكر النقاش** ان قوله
تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا نزلت
في علي **وقال** محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا واهل

بيته

بيته **وقال** ابو حيان في البحر **ومن الغريب** ما انشدنا الامام
اللغوي رضي الله عنه الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري
الشاطبي لزبيننا بن اسحق النصراني الرسعني عدي

عدي وتيم لا احاول ذكرهم • لسوء ولكني محب لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه • اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم • واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عايشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي **وفي البخاري**
ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة **وحكي** ضمها
وكسرها ايضا وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان
من سبها فانه يكفر **وفي الترمذي** من حديث اسامة بن زيد **وقال**
حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما
واحب من يحبهما **واخرجه مسلم** من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة
زاد ابو حاتم فما كان احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم
ما قال **وفي حديث** ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما رايت
الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج يوما وانا في المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جينا سوق
قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني قال فاتى الحسن

ابن علي يستند حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه
ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات
وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما
اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيامة رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث
غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب
وتقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
في المقصد السادس وفي حديث ابي زهير بن الاقمر رجل من الازد انه
صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب
وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام
يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد وعن عقبة بن الحارث قال رايت
ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول

بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي

وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني الحسين اشبههم
برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعنده من رواية
الزهري عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي
وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله
ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد الثالث
واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والاثبات على معظمه وقول

انس

انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض
رواية ابن سيرين السابقة كان الحسين يعني بالبا اشبههم بالنبي صلى الله عليه
وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن
لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما
ما وقع من رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه
الحسين في الشبه كان من عدى الحسن ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد
شبها به في بعض اعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ
ابن هانئ عن علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
الراس الى الصدر والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل
من ذلك وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى
الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر
اشبهت خلقي وخلقي وقال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله
ابن جعفر وقثم بن العباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومسلم
ابن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد المطلبي الجد
الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الرا
وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين
عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهولاء عشرة ونظمهم
شيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل بن حجر تعالى

شبه النبي لعشر سائب وابي سفيان والحسنين الطاهرين هما

وجعفر

وجعفر وابنه ثم ابن عاموهم * ومسلم كابس يتلوهم تتمة
وعدهم بعضهم سبعة وعشرين والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض
والاقسام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيري
رحمه الله واجاد وهو يقول

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الي ذلك
ذكر حمل الصديق للحسن علي عاتقه المشعر للاكرام من افضل الخلق بعد
النبيين لاهل البيت المحمدي وحملهم علي الاعناق ولاسيما مع قوله رضي الله
عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه احب الي من ان اصل قرابتي فلما اقتضى
الحديث ذكر الشبه الكريم جرني الكلام اليه وهذا وقع لي كثير في هذا
المجموع لكنه لا يخلو عن فوايد الفوايد وقد روي انه صلى الله عليه
وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني
من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه
وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم
لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني انما عم الرجل
صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب
رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الي الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق
القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب
الي الايمان التصديق القلبي يجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم

من

٩٠

من نفي احدهما نفي الاخر ثم علل هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة
بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضوه وعصبته
ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب وكما انه يجب علي الولد تعظيم
والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال انما عم الرجل صنو ابيه وهو
بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير
واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان العباس واصل ابي
واحد انتهى وجلله عليه السلام وبنيه بكسا ثم قال اللهم اغفر
للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه
في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين ابن السري في روايته
ان بنيه الذين جللوا بالكسا كانوا ستة الفضل وعبد الله
وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم
بشملة له سودا مخططة بحمرة وقال اللهم ان هولا اهل بيتي وعترتي
فاسترهم من النار كستري هم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت
مدرة ولا باب الا امن وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال
لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت
اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر و البغوي وروى
الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن
الحارث خير اهلي ومن خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل

البيت احد الا ادخله الله النار واعلم انه قد اشتهر استعمال اربعة
الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه السلام والثانية اهل بيته
والثالثة ذوو القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم
الى انهم هم اهل بيته وقال الاخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة
وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه
واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده
الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب
واما اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي
في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزلت قوله تعالى قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هولاء الذين
امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة
الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما
العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل الرجل واولاد
بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى
قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم
فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعلو نسبة
السيدة فاطمة بفضل منيف والبسوا رداء الشرف ومنحوا مزيد
الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين
ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء المزيد

شرفهم

ولد هارون الرشيد

شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المامون اراد ان يجعل الخلافة
في بني فاطمة فاتخذ شعارا اخضر والبسه ثيابا خضرا لكون السواد
شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها
والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود بآخره ثم انثنى
عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف
العلويين من الزهرا لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر
توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن
قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بابناء
العمر وفيها امر السلطان الاشرف ان يمتاز الاشراف بعصائب
خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول
الاديب ابو عبد الله بن جابر

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس ... خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الاطراف

والاشرف السلطان هو شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون
واما الصحابة رضوان الله عليهم فقال سبحانه وتعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة

لما اخبر تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك
ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر وقال البيضاوي
وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله
صفة ومحمد خبر مبتدا محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة
على كل وصف جميل ثم ثنى بالثنا على اصحابه فقال والذين معه
اشداء على الكفار رحما بينهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة
والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة
الاعمال مع الاخلاص التام لمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم
لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى
كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهولا
خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية
خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال تعالى ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي افراخه فآزره
اي شده وقواه فاستغلظ شب فطال فاستوى على سوقه يعجب
الزراع لقوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم آزروه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطا
مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك
رحمه الله

رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة
قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر ووافقه على
ذلك جماعة من العلما والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي
ثنا الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا
عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابي
فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين واليه ذهب
البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا
من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه ولو ساعة من نهار فهو من
اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه
او راه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف
من صحبه او راه مومنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام
كعبيد الله بن جحش فانه ليس صحابيا اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة
ابن امية بن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث
عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله
في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شي اغضبه وقد اخرج
له احمد في مسنده واخراجه مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده
فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى
الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده

اي الشافعية من المحدثين

فالصحيح انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث
ابن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم في المسانيد لكن
قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة
للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي
قد حكى عنه انها تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر
انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام
في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله
في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون
بحيث يميز ما راه او يكفي مجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر
محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل
محمد بن ابي بكر وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة
اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس ولدته في حجة الوداع
قبل ان يدخل مكة وذلك في اخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم
من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي
عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من قام مع النبي
صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا
والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون
حال اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن
ابن علي ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد بالرؤية فالمراد

به

او كان وجد مانع

ليدخل فيه ابن ام مكتوم ونحوه

به عند عدم المانع منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي
جزما فالاحسن ان يعبر باللقاء بدل الرؤية قال الحافظ زين
الدين العراقي وقولهم من راى النبي صلى الله عليه هل المراد به في حال
نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبل النبوة
على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
انه يبعث امة وحده وقد ذكره من الصحابة ابو عبد الله بن منده
وكذلك لو راه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة
واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد
راه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم
كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها
كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم
من العقلا محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون
فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير
عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملائكة
فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين
الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا
كله فيمن راه في قيد الحياة اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح
انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق انه رأى جسده المكرم وهو في قبره

المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه
صلى الله عليه وسلم فراه كذلك على طريق الكرامة لا تثبت صحبته في
خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة
لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية
وانما هي اخروية لا يتعلق بها احكام الدنيا واما من راه في المنام
وان كان قد راه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام
الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به
في تلك الحالة وقد اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على انهم خير
خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى
البخاري من حديث ابي عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير
الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر
اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل زمان
واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة
من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين
صرح بذلك ابن العالي كما في الملمع على الدرسيمات اللقاني لطف الله به
لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد
قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط بين اعمار
اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول حديث
بعثت من خير قرون بني ادم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه

الامة

الامة القرن الذي بعثت فيهم وقد ضبط الائمة من الحفاظ اخر من مات
من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم
به مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع
ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق
لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة لا يبقى
اي من الصحابة
على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم
هذه فانه ليس من نفس منفوسة تاتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان بلغ
عكراش بن ذويب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح
فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة كما نص
عليه الائمة واما ما ذكر ايضا من امر رتن ونحوه فان ذلك لا يروج
على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة واما اخر الصحابة
موتا بالاضافة الى النواحي فقد افرده ابن منده واما قوله ثم الذين
يلونهم فهم اهل القرن الذي بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم
اتباع التابعين واقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل
من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة
بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول
كما قدمت ذلك في خصائص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك
سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى اخره خير
ام اوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي

بها الى درجة الصحبة وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير
ابن نفير احد التابعين باسناد جيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلثا ولن يخزي الله امة
انا اولها والمسيح اخرها وروى ابو داود والترمذي من حديث
ابي ثعلبة رفعه بان ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا
يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر
لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير الصحابة
على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية
وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك
العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة
المشاهدة فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه
بامره او انفق شيئا من فضله بسببه لا يعدله احد في الفضل كائنا
من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك
من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده محل النزاع يتمحض
فيمن لم يحصل له ذلك وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث المتقدمة ثم
ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثاني
الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم من الانصار ومواليهم
الثالث من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون

افضل

٩٥

افضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل
فان جماعة من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متاخر
في الاسلام افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح
وقد ذكر بعض العلماء للصحابة ترتيبا على الطبقات وممن قسمهم كذ
الحاكم في علوم الحديث الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول
البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طا
وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف
في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية اصحاب دار
الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم جماعة من اهل مكة الطبقة
الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين
اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد الطبقة
الرابعة اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام
وكانوا ستة واصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا
اثني عشر اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار
منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة
وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة
اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين المهاجرون الذين وصلوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني

افضل من جماعة من متاخري المهاجرين وانما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار صح

لك

لب

وقد تقدمت اسماء اهل العقبتين في المقصد الاول وهم

الطبقة الخامسة

المسجد ويتصل الى المدينة **الطبقة السابعة** اهل بدر الكبرى
قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يد
يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم **الطبقة الثامنة**
الذين هاجروا بين بدر والحديبية **الطبقة التاسعة** اهل بيعة
الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال عليه السلام
لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم **الطبقة
العاشرة** الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد
ابن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال الحافظ
العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر
بل في اواخرها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم **الطبقة
الحادية عشر** الذين اسلموا يوم الفتح خلق كثير فمنهم من اسلم
طايعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم ببعضهم
الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه
وسلم وراوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرهما كالسايب
ابن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال واما
عدة اصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا
بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعث
الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي

وقد

وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة
تبوك واصحاب رسول الله كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان
لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد روي انه سار
عام الفتح في عشرة الاف مقاتل والى حنين في اثني عشر الفا والى
حجة الوداع في تسعين الفا والى تبوك في سبعين الفا **وقد روي**
انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة
ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر
اي نفاضل بين الناس اي نقول فلان افضل من فلان
ثم عمر رضي الله عنهما **عن ابن عمر** قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري
وفي رواية عمر عن نافع كنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعدل
بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا **وقوله** لا نعدل بابي بكر
اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول
ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه
وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان **زاد** الطبراني في رواية فيسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة
ابن سليمن في فضايل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن
ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر استوى الناس فيسمع النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد

ورد صح
وقيل مائة الف واربعة عشر الفا
وعثمان صح

بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض
السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل
لا يفضل احدهما على الاخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه
جماعة منهم يحيى بن [ابن سعيد] القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة
ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضيلة فهو مذموم ال عم
وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابو بكر وعمر
وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة
وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم
تفضيله فالمقطوع به من اهل السنة القول بافضلية ابي بكر ثم عمر
ثم اختلفوا فيمن بعدهما ثم الجمهور على تقديم عثمان وعن مالك
الوقف والمسألة اجتهادية ومستندها [قبل تسميته وانما هو اجماعهم بيعته] ان هؤلاء الاربعة اختارهم
الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم
في الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون
على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة
والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر
ابن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة
وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة

ابن

ابن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر
فقال القوم ننشدك الله من العاشر فقال نشدتموني بالله سعيد بن زيد
في الجنة يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج
الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا
[اسم لحديقة وقيل اسم لصاحب البير وقيل غير ذلك]
فخرجت في اثره حتى دخل بير اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد
حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه
[القف المكان المرتفع حول البير يفعلون ذلك لئلا يعود الماء اليها]
فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت
لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب
فقلت من هذا قال ابو بكر فقلت على رسلك [الرسل التمهل] ثم ذهبت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره
بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه
وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت وجلست وقد تركت اخي
يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا
انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك [اي امهل]
ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت [هذا عمر بن الخطاب يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت] ادخل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القف عن يساره ودلى رجليه في البير ثم رجعت وقلت ان يرد الله

بفلان خيرا مات به فجا انسان وحرك الباب فقلت من هذا قال عثمان بن عفان
فقلت على رسلك وجيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال ايذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجيت فدخل فوجد
القف قد ملي فجلس وجاهه من الصف الاخر قال شريك قال سعيد
ابن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه
البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث
الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط
المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجا ابو بكر يستاذن فذكر نحوه
قال الطبري وفي حديث ابن نافع بن الحارث هو الذي كان يستاذن
وهذا يدل على تكرار القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم
التعدد وانها عن ابي موسى ووهم القول بغيره وانشد لنفسه
قال لقد بشر الهادي من الصحب زمرة بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
• سعيد زبير سعد طلحة عامر ابو بكر عثمان بن عوف علي عمر •
• ولابي الوليد بن الشحنه
اسما عشر رسول الله بشرهم بجنة الخلد عمن زانها وعمر
• سعد سعيد علي عثمن طلحة ابو بكر بن عوف بن جراح الزبير عمر •
فان قلت من اعتقد في الخلفا الاربعة الافضلية على الترتيب
المعلوم ولكن محبته لبعضهم اكثر هل يكون اثما بذلك اجاب
شيخ الاسلام ابن العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون

(في الهامش: فقلت له ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك صح)

(في الهامش: ابو بكر)

لامر

لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان افضل
كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا
غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل
اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي لقرابة واحسان ونحوه
فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة
بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه
احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة دينية فلا معنى
لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف
بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه
محبة دينية زايدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة
المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني
فلا امتناع فيه والله اعلم وقد روى الطبري في الرياض وعزاه
للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج
فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج
واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث انس مرفوعا حب
ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال الانصاري
ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم

(في الهامش: مجنته صح)

(في الهامش: انتهى صح)

(في الهامش: كانه قال انتم ارفا)

يروني ومد نوا بي واحبوني بحبي اني لاحب الي احدهم من ولده ووالده قالوا
يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي لا يحب يا ابا بكر قوما يحبو
بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول عليه
السلام كما ان محبته كال بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام علامة
على محبة الله تعالى وكذا عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم
فمن احب شيا احب من يحب والبغض من يبغض قال تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب ال
بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات
المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم توقيرهم
وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتدا بهم بان يمشي على سنتهم وادابهم وافعالهم
والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثنا عليهم بان يذكروا
باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى الله تعالى عليهم في الكتاب
المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثنا والاستغفار لهم قالت عايشة
امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم
رواه مسلم وغيره وفايدة المستغفر لهم عايدة عليه قال سهل
ابن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه
ولم يعزروا امره ومما يجب علينا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم
من الاختلاف والاضطراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواه وضلال

الشيعة

الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وان لم يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم
من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك
كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من ماثرهم مما يطول ايراده بعضه
وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات
فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف
عايشة رضي الله عنها والا فبدعة وفسق قال عليه السلام يا ايها
يا ايها الناس احفظوني في اختاني واصهاري واصحابي لا يطالبنكم الله
بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي وقال عليه
السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي
ومن ابغضهم فببغضي ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله
ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه رواه المخلص الذهبي وهذا الحديث
كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب
في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم
كفر لانه اذا كان بغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق
لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال
قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل
اليه صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذي يرمى فيه وهو نهي
عن رميهم موكد اذ لا يتخذهم الله منه وما ذاك الا [illegible]

وروي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه ومن عابهم فاقتلوه. وقال مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضي عياض من ابغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق قال وتنزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية والله اعلم

المقصد الثامن في طبه

صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرويا وانبائه بالانباء المغيبات اعلم انك لا سبيل لك

على الاحاطة بنقطة من بحار معارفه او قطرة مما افاضه الله تعالى عليه من سحايب عوارفه وانت اذا تاملت ما منحه الله به من جوامع الكلم وخصه به من بدايع الحكم وحسن سيرته وحكم حديثه وانبائه بانباء القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدي الخلق واخبار الدار الاخرة وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال الانبيا وامهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه العلما فيه ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما افاضه من العلم ومحاسن الاداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طريق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها

كلامه

كلامه فيها قدوة واشارته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقايق العقلية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد قضيت بان مجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلا وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلا. وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول في طبه صلى الله عليه وسلم

لذوي الامراض والعاهات اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده فقعد عند راسه فقال له اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وابي داود قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم **وعند** ابي داود ثم نفخ في وجهي فافقت **وفيه** انه صلى الله
عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا **وفي** حديث ابي موسى
عند البخاري مرفوعا اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني **وعند**
من رواية البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها
عيادة المريض **وعند مسلم** خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها **قال**
ابن بطال يحتمل ان يكون الامر على الوجوب بمعنى الكفاية كاطعام الجائع
وفك الاسير، ويحتمل ان يكون للندب على التواصل والالفة **وعن**
الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته، ويسن فيمن يراعي حاله، ويباح
فيما عدا ذلك **واستدل** بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية
العيادة في كل مرض **لكن** استثنى بعضهم الارمد بانه قد جاء في عيادة الارمد
بخصوصها حديث زيد بن الارقم **قال** عادني رسول الله صلى الله عليه
وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم **واما اخرجه**
البيهقي والطبراني مرفوعا **ثلاثة** ليس لهم عيادة **الرمد**
والدمل والضرس **فصحح البيهقي** انه موقوف على يحيى بن كثير
ويوخذ من الطلاقة ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه
وهو قول الجمهور **و**جزم الغزالي في الاحياء بانه لا يعاد الا بعد
ثلاث **و**استند الى حديث اخرجه ابن ماجة عن انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة **و**هذا حديث ضعيف

تفرد

تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك **وقال** ابو حاتم هو حديث باطل
ولا تطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة **ويكفي** ما في حديث ابي هريرة
مما حسنه الترمذي مرفوعا **من عاد** مريضا ناداه مناد من السماء
طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا **وهذا** لفظ ابن ماجة
وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من توضا فاحسن الوضوء وعاد
اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا **وفي حديث**
ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا، خمس من عملهن في يوم كتبه
الله من اهل الجنة، من عاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوما
وراح الى الجمعة، واعتق رقبة **وعند** احمد عن كعب مرفوعا **من** عاد
مريضا خاض في الرحمة **فاذا** جلس عنده استنقع فيها **زاد** الطبراني
واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج
ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا
وقتا من الاوقات، فترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه
يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته **فاراد** يوم الجمعة
ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه
فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع
ذلك وصار كثير من الناس يعتمده **ومن الغريب** **ما نقله** ابن العلا
عن الغزاوي ان العيادة تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهارا ولعل

الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول النهار في الصيف فيحصل له بالعبادة
استرواح وينبغي اجتناب التطبب باعداء الدين من يهودي او نحوه فانه
مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان
هذا العدو يهوديا بالان فاعتقادهم ان من يضع منهم مسلما فقد خرج
عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك
دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل في عموم النهي
فيمن قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول
ولا قوة الا بالله . والله تعالى يرحم القائل

لعن النصارى واليهود فانهم . بلغوا بمكرهم بنا الاملا
خرجوا اطبا وحسابا لكي . يتقسموا الارواح والاموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس
المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك
يطيب نفسه يريد مثل ان يقول له لا باس عليك طهور ان شاء الله
ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور
الداخلة عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن من
خوفه ذلك ونحوه وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف
جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب به نفس العليل

من

من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار
الغريزي ويدافع ويساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية
تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور
عليه تاثير عجيب في شفاء علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى
بذلك فيساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من
المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم
بهم ومكالمتهم اياه قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسال المريض
عن شكواه وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره
امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له
ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضا وصب على المريض من وضوئه
كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا باس عليك
طهور ان شاء الله وربما يقول كفارة وطهور وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي
يالم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي
من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع
احدكم يده على جبهته فيساله كيف هو وعند ابن السني كيف اصبحت
او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب
ومرض الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله

الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه
وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون موثرة لرضاه ومحابه ولا سبيل
الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب
الاجساد فمنه ما جا في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه
ما جا عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا
الى الله والى الجنة ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وامرا
لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا
والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد
وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك واما طب
الاجساد فجا من تكميل شريعته ومقصود لغيره بحيث انما يستعمل
للحاجة اليه فاذا قدر الاستغنا عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب
وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود
باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد
البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زايلة تعقبها
المنفعة الدايمة التامة واذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب
كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا
والاخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الاثار
القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة
ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب

والمعصية

والمعصية تطفي ذلك النور وللامام الشافعي

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم نور ... ونور الله لا يوتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا
يقاربها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده
مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس
بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت
حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر
ثم تقوى هذه الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع حتى تعلو الوجه
وتصير سوادا فيه يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها
حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمنع زيادة العمر باسباب
كما ينقص باسباب وقيل تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة
هو حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره
ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي
ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل
ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفي نور العقل
ومنها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقد الحسن

وقد احسن القايل حيث قال

اذا كنت في نعمة فارعها ٭ فان المعاصي تزيل النعم ٭

وحطها بطاعة رب العباد ٭ فرب العباد سريع النقم ٭

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض متي استحكمت قتلت ولابد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة التي متي غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يوذيه ويخشي ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوي اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد الموذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الي بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاوه وقد احسن القايل

جسمك بالحمية حصنته ٭ مخافة من الم طاري ٭

وكان اولي بك ان تحتمي ٭ عن المعاصي خشية النار ٭

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا

ولا

ولا للشر مهربا وفي حديث انس الا ادلكم علي دايكم ودوايكم الا ان دايكم الذنوب ودواكم الاستغفار قلت المراد الاستغفار النافع في الاولى عن ترك الذنوب وظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الي معرفته الا من جهة الرسول صلي الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الي التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الي فكر ونظر بل فطر الله علي معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الي معالجة طبيب ونوع يحتاج الي الفكر والنظر كدفع ما يحتاج يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الي حرارة او برودة وكل منهما اما الي رطوبة او يبوسة او الي ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الي معرفته بتحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعي في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك علي ثلاثة اشيا حفظ الصحة والاحتما عن الموذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الي الثلاثة في القران الاول في قوله تعالي فمن كان منكم مريضا او علي سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة التعب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالي ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الما البارد وقال تعالي في اية الوضو وان كنتم مرضي او علي سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا

النفس

ما يتيمموا صعيدا طيبا فقد اباح للمريض العدول عن الما الى التراب حمية له ان يصيب
جسده ما يوذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل موذ له من داخل او خارج والثالث
من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس
الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر
لانه اذا احلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها وهذا الاستفراغ
يقاس عليه كل استفراغ يوذي احتباسه فقد ارشد تعالى عباده الى اصول
اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين مرفوعا
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله دا الا انزل له شفا
واخرجه النساي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل
دا الا انزل له شفا فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الدا
خلق الدوا فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد واصحاب السنن
وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا
يا عباد الله فان الله لم يضع (اي في الارض) دا الا وضع له (اي في الارض) شفا الا دا واحدا وهو الهرم وفي
لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا الموت يعني الا دا الموت اي المرض الذي
قدر على صاحبه الموت فيه واستثنا الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله
شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضايه
اليه ويحتمل ان يكون الاستثنا منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دوا له
ولابي داود عن ابي الدردا رفعه ان الله جعل لكل دا دوا فتداووا ولا تتداووا
بحرام وفي البخاري ان الله لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي

الهرم هو استقصاء الكبر

تعالى اعلم
صح

بالحرام

اي اذا اصاب دوا الطبيب دوا الدا برا

بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل دا دوا فاذا اصيب دوا الدا
برا باذن الله تعالى فالشفا متوقف على اصابة الدوا الدا باذن الله
تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية
فلا ينجع بل ربما احدث دا اخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى
بطب اهل البيت ما من دا الا وله دوا فاذا كان ذلك بعث الله عز وجل
ملكا ومعه ستر فجعله بين الدا والدوا فكلما شرب المريض من الدوا
لم يقع على الدا فاذا اراد الله به وفي حديث ابن مسعود رفعه ان الله
لم ينزل دا الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم
وغيره وفيه الاشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله
لكل دا دوا فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادوا القاتلة والادوا
التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن
طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم سبيلا اليها لانه لا علم للخلق الا ما علمهم
الله ولهذا اعلق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة الدوا للدا
وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبري ثم يعتريه
بعد ذلك الدا والدوا بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة
من صفات الدوا فرب مرضين تتشابه ويكون احدهما مركبا لا ينجع
فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هناك وقد يكون متحدا
لكن يريد الله ان لا ينجع ما ينجع فيه وهنا تخضع رقاب الاطبا وفي
مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك

براه امر الملك ورفع الستر
ثم يشرب المريض الدوا فينفعه
الله تعالى به صح

وا

لاينافي التوكل كما لاينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب
وكذلك تجنب المهلكات والدعا بطلب الشفا ودفع المضار وغير ذلك
وقد سيل الحارث بن اسد المحاسبي في كتاب القصد في ما ليفه هل يتداوى
المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين
الذين لم يلحقهم لاحق ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله
عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى
واكتوى بري من التوكل قال بري من توكل المتوكلين الذين ذكرهم
في حديث اخر فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب
واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدوا والاسترقا فجعل المحاسبي التوكل
بعضه افضل من بعض قال في التمهيد انما اراد بقوله بري من التوكل
اذا استرقا الرقا المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو متعلق رغبته
في الشفا بوجود الكي ولذلك قال لا يسترقون الرقا المخالفة للشريعة
ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى
وان الشفا من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة وكان ناظرا
الى رب الدوا ومتوقع الشفا من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه
اذا صح لله تعالى واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على
حاله لا ينقص منه الدوا شيا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ عمل
بذلك في نفسه وغيره انتهى فقد تبين ان التداوي لا ينافي التوكل
بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى

مقتضيات

مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل
كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرائيلي ان
الخليل عليه السلام قال يا رب ممن الدا قال مني قال فمن الدوا قال مني قال فما
بال الطبيب قال رجل ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله
صلى الله عليه وسلم لكل دا دوا تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على
طلب ذلك الدوا والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه
ان لدايه دوا يزيله تعلق قلبه بروح الرجا وبرد من حرارة الياس
وانفتح له باب الرجا ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية وكان
ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت
هذه الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته
انتهى فان قلت ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة
الا انزل له دوا وفي الرواية الاخرى شفا فالجواب
انه يحتمل ان يكون المراد ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون
المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم واين يقع
طب حذاق الاطبا الذي غايته ان يكون ماخوذا من قياس او منامات وحدس
وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما
ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطبا من الطب الى هذا الوحي كنسبة
ما عندهم من العلوم الى ما جا به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية
التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطبا ولم يصل اليها

لعله او معانات

علومهم وتجربتهم واقتباستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب
واعتمادهم على الله والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة
والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب
فان هذه الادوية قد جربتها امم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها
من التاثير في الشفا ما لم يصل اليه علم اعلم الاطباء وقد جربت ذلك والله
مرات فوجدته يفعل ما لا تفعله الادوية الحسية ولا ريب ان طب النبي
صلى الله عليه وسلم متيقن البر لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة وطب
غيره اكثره حدس او تجربة وقد يتخلف الشفا عن بعض من يستعمل طب
النبوة وطب غيره وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفا
به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القرآن الذي هو شفا لما في الصدور
ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفا صدره لقصوره في الاعتقاد
والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه
فطب النبي لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفا القرآن لا يناسب الا
الارواح الطيبة والقلوب الحية **فاعراض الناس** عن طب النبوة
كاعراضهم عن الاستشفا بالقرآن الذي هو الشفا النافع **وكان** علاجه
صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة انواع **احدها** بالادوية الالهية (اي المواعظ والدلايل الالهية)
الروحانية **الثاني** بالادوية الطبيعية (اي التي طبعها وخلقها بحسب الخلقة للدوا) **والثالث** بالمركب من الامرين

النوع الاول في طبه عليه السلام بالادوية الالهية

اعلم ان الله تعالى لم ينزل من السما شفا قط اعم ولا انفع

ولا

ولا اعظم ولا انجع في ازالة الدا من القرآن فهو للدا شفا ولصدا القلوب
جلا **كما قال** تعالى وننزل من القرآن ما هو شفا ورحمة للمومنين ولفظة
من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس (اي لبيان الجنس) والمعنى ونزل
من هذا الجنس الذي هو القرآن شفا من الامراض الروحانية وشفا
ايضا من الامراض الجسمانية **اما** كونه شفا من الامراض الروحانية
فظاهر **وذلك** لان المرض الروحاني نوعان **الاعتقادات**
الباطلة واشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة
والمعاد والقضا والقدر والقرآن مشتمل على دلايل المذهب الحق
في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة **ولما كان** اقوى الامراض
الروحانية هو الخطا في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلايل الكاشفة
عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القرآن شفا من هذا
النوع من المرض الروحاني **واما الاخلاق** المذمومة فالقرآن مشتمل
على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق
الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفا من هذا النوع من المرض
فثبت ان القرآن شفا من جميع الامراض الروحانية **واما** كونه شفا
من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض
واذا اعترف الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى
المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها شيء اثارا عظيمة في تحصيل المنافع
ودفع المفاسد **افلا** تكون قراءة القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله

المقربين صح

وكبريايه ونعظيم الملايكة وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول
النفع في الدين والدنيا **ويؤيد** ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله **ونقل** عن الشيخ
ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف
منه على الموت واشتد عليه الامر **قال** فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي **فقال** اين انت من ايات الشفا
فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله واذا هي
قوله تعالى **و**يشف صدور قوم مومنين **و**ننزل من القران ما هو
شفا ورحمة للمومنين **و**اذا مرضت فهو يشفين **قل** هو للذين امنوا
هدى وشفا **قال** فكتبتها ثم حللتها بالما وسقيته اياها فكانما
نشط من عقال **وانظر رقية اللديغ** بالفاتحة وما فيها
من السر البديع والبرهان الرفيع **وتامل** قوله عليه السلام في بعض
ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفا صدري وجلا حزني اي فيكون
له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله
وفي حديث علي عند ابن ماجة مرفوعا خير الدوا القران **وههنا**
امر ينبغي ان يفطن له نبه عليه ابن القيم **وهو** ان الايات والاذكار
والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية
ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا
كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي

فيه

اي يمنع
فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادوا الحسية فان
عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا بقبول تام
وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضايه اثره فان الطبيعة اذا اخذت
الدوا بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول
وكذلك القلب اذا اخذ الرقا والتعاويذ بقبول تام وكان الدوا
في نفس فعالة وهمة موثرة اثر في ازالة الدا وكذلك الدعا فانه من
اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن تخلف اثره عنه
اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما فيه من العدوان
واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعا
واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب
واستيلا الغفلة والشهوة واللهو **وقد روى** الحاكم حديث واعلموا
ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه **ومن انفع الادوية** الدعا
وهو عدو البلا يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه ويخففه اذا
نزل وهو سلاح المومن واذا جمع مع الدعا حضور القلب والجمعية بالكلية اي وجمع كل البدن
على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع
الخضوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة
ورفع اليدين والبداية بالحمد والثنا على الله تعالى والصلاة والتسليم
على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد التوبة والاستغفار والصدقة
والالح في المسيلة واكثار التملق والدعا والتوسل اليه باسمايه وصفاته

والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم فان نفث الدعا لا يكاد يرد ابدا
لا سيما ان دعاه بالادعية التي اخبر صلى الله عليه وسلم بانها مظنة
الاجابة او متضمنة للاسم الاعظم، ولا خلاف في مشروعية الفزع
الى الله والالتجا اليه في كل ما ينوب الانسان **واما الرقا** فاعلم ان
الرقا بالمعوذات وغيرها من اسما الله تعالى هو الطب الروحاني واذا
كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا
النوع فزع الناس الى الطب الجسماني **وفي البخاري** من حديث عايشة
انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات
وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب **او المراد** الفلق
والناس وكذلك كلما ورد من التعويذ في القران **كقوله** تعالى وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين **واما ما اخرجه** الامام احمد
وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يكره عشر خصال **فذكر** منها الرقا الا بالمعوذات
ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة وهو ضعيف **قال** البخاري لا يصح حديثه
وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة **واما**
حديث ابن مسعود عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ
من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها
وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغيرهما بين السورتين
بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما احتج بهما

لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا
٢ **وقد اجمع العلما** على جواز الرقا عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام
الله تعالى او باسمايه او بصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه
من غيره وان يعتقد ان الرقية لا توثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى
واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها **وفي**
صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله
كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقا اذا لم يكن فيه
شرك **وله** من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقا
فجا ال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها
من العقرب قال اعرضوها علي فعرضوها عليه فقال ما ارى باسا
من اراد ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا
على كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف انه
مهما كان من الرقا يودي الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يومن ان يودي الى
الشرك فيمتنع احتياطا **والشرط الاخير** لا بد منه **وقال قوم**
لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة **لحديث** عمران بن حصين
لا رقية الا من عين او حمة **واجيب** بان معنى الحصر فيه انما هو اصل
كلما يحتاج الى الرقية فيلحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك
لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن احوال شيطانية من انس او جن **ويلحق**
بالسم كلما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية **وقد وقع**

ابهام
الاجابة وهو الاعتقاد فان ذلك مانع من في انها موثرة بنفسها
اي انها لا توثر
استطاع
اي سم

عند ابي داود من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم **وفي**
مسلم من حديث انس رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين
والحمة والنملة **وفي حديث اخر** والاذن ولابي داود من حديث الشفا
بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة
رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد **وقيل**
المراد بالحصر يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار
وقال قوم المنهي عنه من الرقا ما يكون قبل وقوع البلا والماذون
فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما **وروى**
ابو داود وابن ماجة وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى
والتمايم والتولة شرك والتمايم جمع تميمة **وهي** خرزة او قلادة تعلق
في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات **والتولة**
بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا **شي** كانت المراة تستجلب به محبة
زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار
وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسما الله وكلامه
فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سياتي
ان شا الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه
سبحانه في كل ما وقع وفيما يتوقع **وقال** بعضهم المنهي عنه من الرقى هو
الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة
مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمايه ما يشوبه من ذكر الشياطين

والاستعانة

والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم **ويقال** ان الحية لعداوتها للانسان
بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني ادم فاذا عزم على الحية باسما
الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ اذا رقي بتلك الاسما سالت
سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله واسمايه
خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريا من شوب
الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علما الامة **وقال القرطبي**
الرقا ثلاثة اقسام **احدها** ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل
معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يودي الى الشرك **الثاني**
ما كان بكلام الله او باسمايه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب **الثالث**
ما كان باسما غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش
قال فليس هذا من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن
الالتجا الى الله تعالى والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن
تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى **وقال**
الربيع سالت الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان ترقي بكتاب الله
انتهى **وفي الموطا** ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشة
ارقيها بكتاب الله قال النووي **وقال** القاضي عياض واختلف قول مالك
في رقية اليهودي والنصراني للمسلم وبالجواز قال الشافعي والله اعلم **وروى**
ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي

[margin: من علما] [margin: وما يعرف من ذكر الله]

يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي
يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين الاصابة
بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه قال المازري
اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعة لغير معنى لان كل
شيء ليس محالا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو
من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى
وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة
وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من
بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب بان طبايع الناس
تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوى الى بدن المعيون
وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيا يعجبني
وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة الحايض تضع يدها
في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك
ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمدا فيرمد وقال المازري زعم بعض
الطبايعيين ان العاين ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك
او يفسد وهي كاصابة السم من نظر الافعى واشار الى منع الحصر في
ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين

اما

انما ينفر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر
عند مقابلة شخص اخر وهل ثم جواهر حقيقة اولا هو امر محتمل
لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب
الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتصل
بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق
الهلاك عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز
ان تكون عادة ليست ضرورية ولا طبيعية انتهى وهو كلام سديد
وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى
الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار
بسنده عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضا الله قال الراوي يعني
العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخوا ص
في الاجسام والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى
في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند روية
من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه ويضعف قوا ه
وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التاثيرات ولشدة
ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والاروا ح
مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يوثر في البدن
بمجرد الروية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها
الخبيثة والحاصل ان التاثير بارادة الله وخلقه ليس مقصورا

على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة، واخرى بمجرد الروية
واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقا والالتجا الى الله
تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل **فالذي** يخرج من عين العاين
سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم
بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سوا انتهى ملخصا من فتح الباري
وغيره **قال** ابن القيم والمقصود العلاج النبوي لهذه العلة فمن
المعوذات والرقا الاكثار من قراة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي
ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ونحو اعوذ بكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، وذرا، وبرا، ومن شر
ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرا في الارض، ومن
شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل
والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن
واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله
اللهم بارك عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عاين سهل
ابن حنيف الا باركت عليه **ومما يدفع به شر العين** قول ما شا الله لا قوة
الا بالله **ومنها رقية جبريل** للنبي صلى الله عليه كما رواه مسلم
بسم الله ارقيك من شر كل شي يوذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد
الله يشفيك بسم الله ارقيك **ومنها رقية وعنه ايضا** من حديث

عايشة

١١٢

عايشة كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك
ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين **واخرج**
مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته
العين، واذا اغتسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب **وحكى**
المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال
العاين مما جرت العادة بالشفا فانه يتعين، وقد تقرر انه يجبر على
بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال
قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند احمد
والنسايي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه
نحو مكة حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان
ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم
ولا جلد مخباة فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر بن ربيعة فدعا
عامر فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك
بركت **ثم** قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف
رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الما عليه رجل من خلفه
على راسه وظهره ثم كفى القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به باس
قال المازري المراد بداخلة ازاره الطرف المتدلي الذي يلي
حقوه **قال** وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى **وزاد القاضي عياض**

ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار **ورايت مما عزي** لخط شيخنا الحافظ السخاوي **قال** ابن كثير راويه عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد **و**قال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الما المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى **قال** المازري هذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه **وقال** ابن العربي ان توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله اعلم **وقد** عضدته التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لانه عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص **قال ابن القيم** ومن علاج ذلك ومن الاحتراز عنه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يرده عنه كما ذكر البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان راي صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين **ثم** قال في تفسيره

ومعنى

ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة النقبة التي تكون في ذقن الصغير **وذكر** عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عاين قل ما نظر الى شي الا اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العاين بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقفنا عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العاين عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها **وفي هذا الحديث من هذا الباب من الفوايد** ان العاين اذا عرف يقضي عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه فان الاصابة بالعين قد تقتل **وقد اختلف** في جريان القصاص بذلك **فقال** القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الديه اذا تكرر ذلك منه بحيث تصير عادة له وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية للقصاص

انتهى

في ذلك بل يعزر وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا **وقال النووي**
في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام
دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع
منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا
عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه
في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير الموت اثر العين **قال الحافظ**
ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه **والفرق**
بينهما عسر **ونقل** ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العائن
اذا عرف بذلك من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه
ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة
الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع اكله من حضور الجماعة
قال النووي هذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح
بخلافه **ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم** التي كان يرقي بها عن عبد
العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة
اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بلى **قال قل** اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي
الا انت شفاء لا يغادر سقما **رواه البخاري** **وقوله** اذهب الباس
بغير همز للمواخاة واصله الهمز **وقوله** لا شافي الا انت اشارة الى ان كل
ما يقع من الدواء والتداوي ان لم يصادف تقدير الله والا فلا ينجع **وقوله**

لا يغادر

لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك **وفي البخاري** ايضا عن مسروق
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده
اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي لا شفاء
الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما **وقوله** يمسح بيده اي على الوجع **وقوله** الا شفاؤك
بالرفع بدل من موضع لا شفاء **وعن عايشة ان رسول الله** صلى الله عليه
وسلم كان يرقي يقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له
الا انت رواه البخاري ايضا **وفي صحيح** مسلم عن عثمان بن ابي العاصي انه
شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل
بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد
واحاذر واما كونه سبعا ليكون انجع وابلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع
من النوم عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال صلى الله عليه وسلم اذا
اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت
ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت كن لي جارا
من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي **ذكر طبه عليه**
السلام من حر المصيبة ببرد الرجوع الى الله تعالى في المسند

اي الحديث المسند اي الذي اسند الموصول المرفوع

مرفوعا ما من احد يصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته
واخلف له خيرا منها قال في الهدي النبوي ان هذه الكلمة من ابلغ
علاج المصاب وانفعه له في عاجلته واجلته فانها تتضمن اصلين
عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته **احدهما**
ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد
عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه من المستعير **والثاني**
ان مصير العبد ومرجعه الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا وراء ظهره
ويجي به فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن
بالحسنات والسيئات فاذا كان هذا بداية العبد ونهايته فكيف
يفرح بموجود او ياسى على مفقود ففكره في مبداه ومعاده من اعظم
علاج هذا الداء **قال** ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد
التاسي باهل المصايب وانه لو فتش العالم لم ير الا مبتلى اما بفوات
محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زايل
ان اضحكت قليلا ابكت كثيرا وان سرت يوما اسات دهرا وان متعت
قليلا منعت طويلا وما ملات دارا حبرة الا ملاتها عبرة ولا سرته
بيوم سرور الا خبات له يوم شرور وقال ابن مسعود لكل فرحة
ترحة وما ملي بيت فرحا الا ملي ترحا **ذكر طبه عليه السلام**
من داء الهم والكرب بدوا التوجه الى الرب عن ابن عباس ان رسول الله

صلى الله

١١٥

صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض
ورب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلوله
وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضا
ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح الحا المهملة والزاي والبا الموحدة
اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وانما هو
تهليل وتعظيم **يحتمل** امرين احدهما ان المراد تقديم ذلك قبل الدعا
كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور وزاد
ثم دعا قال الطبري ويويد هذا ما روي عن الاعمش عن ابراهيم
قال كان يقال اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا
بالدعا قبل الثنا كان على الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة **وقد**
سيل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه
وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث فقال سفيان
هو ذكر وليس فيه دعا **ولكن** قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه
عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين
وقال امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان

ابن عم عايشة ملك في الجاهلية

اأذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياوك ان شيمتك الحياء
اذا اثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضك الثناء

فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثنا عن السوال فكيف

بالخالق ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد
الالهية والربوبية ووصفه سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان
مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه
بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي
هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية تستلزم توحيده وانه
الذي لا ينبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة
الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص
وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم
القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل
له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الهم والكرب والغم
وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه
كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفا للقلب
اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي
تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق
وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما يصدق بهذه
الامور من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها قال
ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم
فقال له شيخ ابو بكر بن علي قد سعي به الى السلطان فسجن فرايت النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح

لا

التامة صح

والحب

لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعا
الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته
فدعى به فلم يكن الا قليلا حتى اخرج وفي حديث علي عند النسائي وصححه
الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني ان
اقولها اذا نزل بي كرب او شدة لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله
تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم
في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له العلي العظيم
لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله الحليم
الكريم سبحانه تبارك وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها
كلها النسائي وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله
العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال
العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع
هذا الدا مناسبة بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال
مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا
كان اسم الله العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى هو اسم الحي
القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا لما كملت
حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات فالتوسل
بصفة الحياة والقيومية له تاثير في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال

وعنه ايضا من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث صح

الاعظم

فلهذا الاسم للحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف
الكربات ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال
يا حي يا قيوم وروى ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجوا فلا تكلني الى
نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت وفي هذا الدعا
كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه
وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله
الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ما له تاثير في دفع هذا الدا وكذا
قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب
الله ربي لا اشرك به شيا وفي مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم
اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاوك
اسيلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا
من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه
وهمه وابدله مكانه فرحا وانما كان الدعا بهذه المنزلة لاشتماله
على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية ابايه وامهاته وان ناصيته
بيده يصرفها كيف يشا واثبات القدر وان احكام الرب تعالى نافذة
في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه

وتعالى

وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب
تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استاثر
به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه
الوسيلة من اعظم الوسايل واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب
ثم ساله ان يجعل القران العظيم لقلبه ربيعا كالربيع الذي ترتع فيه الحيوان
وان يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان
يجعله شفا همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد
البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلي الطبوع
والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل في استعماله هذا الدوا اعقبه
شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار
يقال له ابو امامة الباهلي فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير وقت
الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله قال الا اعلمك كلاما اذا
انت قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله
قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ
بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين
وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني وقد
تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنان منها
قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شي

والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وقهر الرجال اخوان

وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق
لانه قد اتفق اهل الملل نقلا وعقلا كل ملة ان المعاصي والفساد يوجبان
الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب
والاثام في القلوب فلا دوا لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من لا حول ولا قوة
الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي
انها من ابواب الجنة وفي بعض الاثار ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا
حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل
توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني
من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتم
سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث
سعد بن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب
الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها رجل
مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر

ابن

ابن محمد يعني الصادق والمحدث عن ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا حزبه امر قال هذا الدعا اللهم احرسني بعينك
التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي
فلا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي قل لك بها شكري
وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته
شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني
على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابدا ويا ذا النعما
التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى ال محمد وبك ادرا في نحور
الاعدا والجبارين اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني
فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا
ينقصه العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت
الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية
من البلا وشكر العافية وفي رواية واسالك تمام العافية واسالك
دوام العافية واسالك الشكر على العافية واسالك الغنا عن الناس
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى الله عليه
وسلم من داء الفقر عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله
ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال فاين انت من صلاة الملايكة
وتسبيح الخلايق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة

قول الرجل فكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواية مالك ذكر لطبه من رد الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه

فان قلت ما وجه الحكمة في اطفا الحريق بالتكبير اجاب صاحب زاد المعاد لما كان سبب الحريق النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله كان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان واليهما يدعوا وبهما يهلك بني ادم فالشيطان والنار كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبريا الله تعالي تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالي له اثر في اطفا الحريق فان كبريا الله تعالي لا يقوم لها شي فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهي ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانماية فوجدت له اثرا عظيما لم احده لغيره وقد شاع وذاع رؤية طيور بحرية بطيبة الواقع في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمان ماية ~~ومنه حديث~~ ~~ادرك بيتك فقد احترق~~ معلقا بالتكبير ذكر ما كان عليه السلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين

ان

رواه الطبراني في الدعا وابن عساكر

ان امراة اتت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني انكشف فادع الله لي فقال ان شيت صبرت ولك الجنة وان شيت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر قالت فاني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها قال العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الردية والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطبا فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الي فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطي عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج ان يكون فيه هذان الامران ايضا حتي ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من برءه وكذا اذا استمر به الي هذا السن قال فهذه المراة التي جا في الحديث انها كانت تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع

صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض الجنة ولقد جربت الاقسام
بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه
الى اخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن العجب
قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز واستغاثت
به صلى الله عليه وسلم فجاء النبي الى صارعها في المنام بامره صلى الله
عليه وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبه
ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد **ذكر دوايه صلى الله عليه وسلم من السحر** قال النووي السحر حرام وهو من الكباير
بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل كبيرة فان كان فيه
قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعليمه وتعلمه فحرام
واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل
فان تاب قبلت توبته بل يتحتم قتله والمسيلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق
لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل
توبة المنافق والزنديق **قال** القاضي عياض وبقول مالك
قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين
قال اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات
بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل
وقد لا يقتل فلا قصاص ووجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله
لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني **قال**

اصحابنا

اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف
الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له
وهو اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية وابي بكر الرازي
من الحنفية وطايفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع
الجمهور وعليه عامة العلما ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة
المشهورة **قال شيخ الاسلام** ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع
هل يقع بالسحر انقلاب عين او لا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك ومن قال
بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون
نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا
مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول **وقال** المازري
جمهور العلما على اثبات السحر وان العقل لا ينكر ان الله تعالى يخرق العادة
عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين قوى
على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطبا من مزج
بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار بمفرده فيصير بالتركيب
نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله يفرقون
به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر
من ذلك لذكره الله تعالى **قال** المازري والصحيح من جهة العقل
انه يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة
ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة

والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد
والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما المعجز
فيمتاز على الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر
لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه
في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه الخارق
فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه
من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية
يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس
ومادته الوقوف على خواص الاشيا والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها
واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف
ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم
لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي
في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان
تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة وقد مليت زيبقا وكذلك الحبال
كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها ازاجا
وملوها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان
الزيبق اذا اخذته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي
صارت تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى
قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلب كالحب

والبغض

والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر
ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري
من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه
كان ليخيل اليه انه يفعل الشي وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة وهو عند
عائشة دعا ودعا ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما
استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه
قال لبيد بن الاعصم قال في اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع
نخلة ذكر قال واين هو قال في بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ناس من اصحابه فجا فقال يا عائشة كان نقاعها ما الحنا
ماها نقاعة الحنا وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت يا رسول
افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه شرا
فامر بها فدفنت وفي رواية البخاري ايضا فاتى البير حتى استخرجه
فقال هذه البير التي اريتها قالت عايشة افلا تنشرت قال اما الله
فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس
عند البيهقي في الدلايل بسند ضعيف في اخر قصة السحر الذي سحر به
النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت
سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد
بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله

عليه وسلم لاستخراج السحر وجد الطلعة فيها احدى عشرة عقدة
فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري وهو علي فنزل رجل فاستخرجه وانه
وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل
بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما
ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما
اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسلا قال لما رجع صلى الله
عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاءت رؤساء
اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وهم بطن من الانصار وكان ساحرا فقالوا انت
اسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحر لنا سحرا
ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية ابي ضمرة عند الاسمعيلي
فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن
الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه
وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر المدة
التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت بها في جامع معمر عن الزهري
انه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد
الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا
الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى
ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع

اذ

اذ يحتمل على هذا انه يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه
بشيء ولم يوح اليه بشيء قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل ليل
قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله وعلى عصمته
في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على
خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لاجلها ولا
كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالامراض
فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته
عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه
فعل الشيء ولم يكن فعله انه يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس
الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى للملحد على هذا حجة وقال القاضي عياض من
يحتمل ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سا بق
عادته من الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المراة فتر عن ذلك كما هو شان
المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي صار
كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راى الشيء يخيل اليه انه على غير صفته
فاذا تامله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل
عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم
وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض
وتعاطي الاسباب ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر
في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه

عن فنون عبادته جنح الي التداوي **فقد اخرج** ابو عبيد من مرسل
عبد الرحمن بن ابي ليلي **قال** احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه بقرن حين
طب [اي سحر] ثم جنح الي الدعا، وكل من المقامين غاية في الكمال **وقال** ابن القيم
من انفع الادوية واقوي ما يوخذ من النشره معالجة للسحر الذي هو من
تاثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعا والقراة
فالقلب اذا كان ممتليا معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعا
والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له
قال وسلطان تاثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يوثر
في النسا والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح
تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهي ملخصا **ويعكر عليه** حديث الباب
وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه
وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول
على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه
واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال
ان في كتاب وهب ابن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقه
بين حجرين ثم يضرب ذلك بالما ويقرا فيه اية الكرسي والقلاقل [قل اوحي، قل يا ايها الكافرون، والمعوذتين]
ثم يحسوا منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به
وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله **وممن صرح بجواز**
النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما انتهي

وقال

وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشره
يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفا **و**اخبر رحمه الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام، وقال انه مرة راي النبي
صلى الله عليه وسلم قال له ما تعلم ما عمل معك ومع اصحابك في هذه
النشره تقله عند خادمه وهي هذه **لقد جاءكم** رسول من انفسكم
الي اخر السورة، وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين، لو انزلنا
هذا القران على جبل الي اخر السورة، وسورة الاخلاص والمعوذتين
ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت، وانت الخالق وانت البارئ وانت
المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ما مهين، وجعلتنا في قرار مكين الي قدر معلوم
اللهم اسالك باسمايك الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلا
والمعافاة والشفاء والدواء اسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام وحرمة كليمك موسى عليه
السلام اللهم اشفه [بلغ] **ذكر رقية لكل الشكوي** عن ابي الدردا
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكي منكم شيا [اي وجعا من الاوجاع]
فليقل ربنا الله الذي في السما تقدس اسمك امرك في السما والارض
كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا [الحوب الذنوب]
انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفا من شفايك على هذا
الوجع فيبرا باذن الله رواه ابو داود في سننه **رقيته عليه**
السلام من الصداع روي الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب

عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع
بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق
اي من شر كل عرق يتحرك ويغلي بالدم
نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما واصاب اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في راسها فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله
اي بالله
الملكة عندك اي بالمكانة العليا عند
اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك
فقالت حر
بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك ثلاثة ايام
فذهب الورم رواه الشيخ بن النعمان بسنده والبيهقي رقيته
صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس روى البيهقي
ان عبد الله بن رواحة شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع الضرس
فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم
اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك
اي قبل ان يفارق مكانه
سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكوا ما تلقى من ضربان الضرس فادخل
سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تألم فقال بسم الله وبالله اسالك
بعزك وجلالك وقدرتك على كل شي فان مريم لم تلد غير عيسى
وهو روح الله
من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله
فسكن ما بها ومن الغريب ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري
امام مقام الخليل بمكة ورايته يفعله غير مرة وضع يده على راس
الموجوع

الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد الالم
ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر قالوا فاذا رفع
يده الالم قد سكن المه وتمكث المدة المذكورة لا يالمه كما اشيع ذلك
الرحيم
واشتهر ومما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم رقيه
لعسر البول روى النسائي عن ابي الدردا انه اتاه رجل يذكر
رسول الله
ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من
صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السما تقدس اسمك امرك
في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا
ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفاء من شفائك
ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا وامره ان يرقيه بها فرقاه بها
فبرا وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث ابي الدردا عند ابي داود
رقية الحما عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الوعك يسمى به المرض الخفيف
عايشة وهي موعوكة وهي تسب الحما فقال لا تسبيها فانها مامورة
ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني
قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام
ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم
الفم حر
ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني ~~ولا تفوري على الفم وانتقلي~~
الى من اتخذ مع الله الها اخر قال فقالتها

الى من يزعم ان مع الله الها اخر قالت فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي
وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق
وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت
بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم
وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى المثلثة مما ذكره صاحب
الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت
ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بما وقد رخص جماعة
من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل ذلك من الشفا الذي
جعل الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني
لا تزال الاوراق للحما وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة
منها فاستعملها فيبرا باذن الله تعالى وكان المكتوب فيها ايها الحمى يزول
فلا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال المروزي
بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحما رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك
بالتخفيف وهو ورم في بعض الجسد
اله الحق امين وما يكتب للخراج ونقله صاحب زاد المعاد

ان

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

ان يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ومما يكتب لعسر
الولادة ما روى الخلال عن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل قال
رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها في جام ابيض او شي نظيف
حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا سا عة
من نهار كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال
احمد بن حنبل
اخبرنا ابو بكر المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله
تكتب لامراة قد عسر عليها الولادة منذ يومين فقال قل له يجي
بجام واسع وزعفران قال ورايته يكتب لغير واحد وفي المدخل
يكتب في اناء جديدة اخرج ايها الولد من بطن ضيقة الى سعة هذه الدنيا
اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم
لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من القران ما هو
شفا ورحمة للمومنين وتسقى منها النفسا ويرش منها على وجهها
قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجح
في وقته انتهى وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه
السلام على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع يا كلمة
الله لي ان يخلصني مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص
النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها

فاذا هي قاعد قال فاذا عسر على المراة ولدها فاكتبه لها **وما يكتب**
ايضا لذلك ويكون في اناء نظيف اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت
واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه وترش
على بطنها **وما يكتب للرعاف** على جبهة المرعوف وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم
المرعوف كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله
ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك
كل شيء وخالق كل شيء انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى
ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفاء لا يغادر سقما لا شافي الا انت
واما حفيظة رمضان لا آلا الا آلاوك يا الله انك سميع
عليم محيط به علمك كعسلهون وبالحق انزلناه وبالحق نزل الى آخرها فاشتهرت
ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة
رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق وساير الافات **ويكتب**
في اخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب على المنبر **و** بعضهم يكتبها
بعد صلاة العصر وهي بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير
واحد من الاكابر بل اشعر كلام بعضهم ورودها في حديث ضعيف
وكان الحافظ ابن حجر ينكرها انكارا جدا حتى وهو قايم على المنبر في
اثناء خطبته حين يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما يقي من كل بلا** عن ابان
ابن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

من

من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع
العليم ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين
يصبح لم تصبه فجاة بلاء حتى يمسي **قال** فاصاب ابان بن عثمان الفالج
فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما
كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم
الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها رواه ابو داود
ورواه الترمذي وقال الحديث صحيح وعنده فكان ابان قد اصابه طرف
فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما لك تنظر الي اما ان الحديث كما
حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله قدره **ذكر ما يستجلب به**
المعافاة من سبعين بلاء **ذكر** ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي
في كتابه اخبار افريقية عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته
امه وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا منها الجنون والجذام والبرص
والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة **قال** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجا
من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر
وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها الهم

كذبت

حسن الله

ته

الله

تسعين

ومن ذلك الامان من الفقر عن ابي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ابطا عليه رزقه من قال لا حول ولا قوة الا بالله
مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقرا ابدا رواه ابن ابي الدنيا **وروي**
الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة
لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر
واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة **قال** بعض رواته لو رحلتم
في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب
النبوي **ذكر دواء الطعام** روى البخاري في تاريخه عن عبد الله
ابن مسعود مرفوعا حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسما في الارض وفي
السما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا لم يضره ما كان **ذكر**
دواء ام الصبيان عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم يضره
ام الصبيان رواه ابن السني وذكر عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان
هي الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله
صاحب تحفة المودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع سمع
المولود كلماته المتضمنة لكبريا الرب وعظمته والشهادة التي اول
ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند

دخوله

دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك
من فائدة اخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الاذان وهو كان يرصده
حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاها فيسمع الشيطان
ما يضعفه ويغيظه اول اوقات تعلقه به **النوع الثاني في**
طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية ذكر ما كان
عليه السلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم ان الصداع الم في بعض
اجزا الراس او كله فما كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة بوزن
عظيمة **وسببه** ابخرة مرتفعة واخلاط حارة او باردة ترتفع الى
الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت دا البيضة تشبيها ببيضة السلاح
التي تشتمل على الراس كله واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها
ما يكون عن ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها
ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقي والاستفراغ والسهر
او كثرة الكلام ومنها ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والحزن
والجوع والحمى ومنها ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه او
في صفاق الدماغ او حمل شي ثقيل يضغط الراس او تسخينه بشي خارج عن
الاعتدال او تبريده علاقاة الهوا او الما في البرد **واما الشقيقة**
فهي في شرايين الراس وحدها او تختص بالموضع الاضعف من الراس وعلاجها بشد
العصابة **وقد** اخرج الامام احمد من حديث بريدة انه صلى الله عليه
وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي

الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وا راساه وانه خطب
وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع في الشقيقة وغيرها من اوجاع الراس
وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه
من شقيقة كانت به وقد جات مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس نفسه
فعند ابي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا انها نافعة جدا وورد
انه صلى الله عليه وسلم احتجم في الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه
والاذنين والعينين والاسنان والانف وقد ورد في حديث ضعيف
جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاووس
عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من سبع الجنون والجذام
والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك
رماه الفلاس وغيره بالكذب وروى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا صدع غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله
من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة
ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك نفع فيه الحنا
نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع
وهذا لا يختص بوجع الراس بل يعم جميع الاعضا وفي تاريخ البخاري
وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا اليه احد وجعا
في راسه الا قال احتجم ولا شكا وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحنا

وفي

وفي الترمذي عن علي بن عبد الله عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه
وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكتة الا امرني ان
اضع عليها الحنا ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم
حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب
احد الاخلاط والابخرة تتصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم
احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهاة او المنخرين احدث
الخناق بالخا المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب
احدث الشوصة وان لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع
كما تقدم وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون
والدعة وترك الحركة وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت
على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت
تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية
الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه حمى عليا من
الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماوها
شفا للعين والكماة نبات لا ورق له ولا ساق يوجد في الارض من غير ان
يزرع وروى الطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال كثرت الكماة
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها وقالوا هو
جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست جدري الارض الا ان

الكمات من المن **واختلف** في قوله من المن فقيل من المن الذي انزل على بني
اسرايل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا **ومنه**
الترنجبيل فكانه يشبه الكماه بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير
علاج **وقال** الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرايل
فان الذي انزل على بني اسرايل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر
وانما المعنى ان الكماه شي ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي **وانما** اختصت
الكمات بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض تجلو البصر **وقال** ابن الجوزي
في المراد بكونها شفا للعين قولان **احدهما** ان ماها حقيقة الا ان اصحاب
هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين **لكن اختلفوا**
كيف يصنع بها على رايين **احدهما** انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها
حكاه ابو عبيد **ثانيهما** ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماها ثم
ياخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل من مايها لان النار
تلطفه وتذهب به فضلاته الرديه ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل
في مايها وهي باردة يابسة فلا ينجع **وقال** اخر تجعل الكماة في قدر جديد
ويصب عليها الما ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطا جديد نقي فيجعل على
القدر فما جرى من الغطا من بخار الكمات فذلك الما الذي يكتحل به
وقال ابن واقد ان ما الكماه اذا عصر وربي به الاثمد كان ذلك
من اصلح الاشيا للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح
الباصره قوة وحده ويدفع عنها نزول النوازل **وقال ايضا**

الذي ليس في اكتسابه شبهة
ويستنبط منه ان الحلال المحض [illegible]

اذا اكتحل بها الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة
عجيبة وحده في البصر كثيرة **وقال** ابن الهيثم اعترف فضلا الاطبا
ان ما الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما **قال**
والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت
في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت عليها الافات بامور اخرى من مجا ورة
او امتزاج وغير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الا صل
نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضا[ر]
بالمجاورة واستعمال كلما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله
ويدفع الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذره (اي [illegible]) وهي بضم المهملة
وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا **وقيل** هي قرحة
تخرج بين الاذان والحلق والخرم الذي بين الانف والحلق وهو الذي يسمى
سقوط اللهاة **وقيل** هو اسم اللهات **والمراد** وجعها سمي باسمها **وقيل**
هو موضع قريب من اللهاة واللهات بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق
وفي البخاري حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسد خزيمة
وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها
(اي علقت عليه [illegible] لم يندفع عنه ذلك)
قد علقت عليه من العذره فقال النبي صلى الله عليه وسلم على م
(اي [illegible] حلق الصبي [illegible])
تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه
سبعة اشفية **منها** ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندي

فان فيه **قوله** تدغرن خطاب للنسوة وهو بالعين المعجمة والدال المهملة
والدغر غمز الحلق **وعن جابر** بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عايشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا
فقالوا به العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن
ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه فلتاخذ قسطا هنديا
فلتحكه بما ثم تسعطه اياه فامرت عايشة بصنع ذلك للصبي فبرا
الحديث **وفي** القسط بخفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا
يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق **وهو** شي يعلقونه على ٣
الاطفال فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو
انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف **وقد**
استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن
الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار **واجيب**
بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم **وفي القسط** تجفيف
للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الدا بالخاصية **وايضا** فالادوية
الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا وبالذات ايضا **وقد**
ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهات بالقسط مع الشب اليماني على انا
لو لم نجد شيا من التوجيهات لكان المعجزة خارجا عن القواعد الطبية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لدا استطلاق البطن
بالعسل من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي

صلى الله

القسط ضرب من الطيب وقيل هو العود الذي يتبخر به

صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه **وفي رواية** استطلق بطنه
فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال صدق الله وكذب بطن اخيك **وفي رواية** مسلم فقال له ثلاث
مرات ثم جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا
استطلاقا فقال صدق الله **وفي** رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال
في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك **قال**
الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطا يقال كذب
سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قال **فمعنى كذب بطنه**
اي لم يصلح لقبول الشفا بل زل عنه **وقال** الامام فخر الدين لعله
صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك
كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ **وقد** اعترض
بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال
واجيب بان ذلك جهل من قايله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه **فقد** اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه
باختلاف السن والعادة والزمان والغذا المالوف والتدبير وقوة
الطبيعة وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا
عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت
الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه

اي لما لم يظهر نفعه في الحال ح كون عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه لجود ذلكم

من تخمة اصابته فوصف له النبي صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول
المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذا فيها وللمعدة
خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا الواصل
اليها فكان دواها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شي في ذلك مثل
العسل لاسيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفد في اول مرة لان الدوا يجب
ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية
وان جاوزه اوهى القوة واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا
مقدارا لا يفي بمقاومة الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات   من لا يبقي
بحسب مادة الدا برا باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم
وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدوا نافع وان بقا الدا ليس لقصور
الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب
العسل لاستفراغها وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى
العروق وينفذ معه جل الغذا ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى
في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا
فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر وقال ابن الجوزي
في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة اقوال احدها
ان حمل الاية على عمومها في الشفا والى ذلك اشار بقوله صدق الله اي
في قوله فيه شفا للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول
فشفي باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم

من

من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت
به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل
شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني والرابع
ضعيفان ويويد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفائين العسل والقران
اخرجه ابن ماجة والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة
والحاكم ايضا مرفوعا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا اشتكى احدكم
فليستوهب من امراته شيا من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ
ما السما فيجمع هنيا مريا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند
حسن وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا
فليكتب اية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بما السما وليا خذ من
امراته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه
شفا قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله
تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال وانزلنا
من السما ما مباركا وقال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه
هنيا مريا وقال في العسل فيه شفا للناس ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه
ويلينه روى الترمذي وابن ماجة في سننه من حديث اسما بنت
عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين
قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت

مر كان رجلا صالحا عالما قال الولد
انظر الى المكان الذي فيه ما العالي
ان رايت عليه نورا كالنور والا فعلى
بها ما تشا فكان ذلك المكان يحترق
النور دون جميع البيت كانه قمر
ساطع وقد روي لعد موته بشير
عن حاله مع منكر ونكير قال والله
اتياني فقال احدهما للاخر اساله
قال انه ابن ابي حاتم لا اساله فقال
لابد من سواله من ربك فقال له نفسه
من ربك انت واخذ بلحيته
وقال والله لا يستوون شيه اعلمها
للناس فقال له صاحبه اي انك
عن سواله وخرجا من عنده وتركاه

بالسنا **فقال** صلى الله عليه وسلم لو ان شيا كان فيه الشفا من الموت
لكان في السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب **وقد** ذكره البخاري
في تاريخه الكبير من حديث اسما بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي
وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والشبرم فانه حار حار وعليكم بالسنا فتداووا
به فلو دفع الموت شي لدفعه السنا وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب
الطب النبوي له ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالمقصد الى الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر **وفي سنن** ابن ماجة من حديث
ابراهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفا من كل دا الا
السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قال والشبرم قشر
عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي
منع الاطبا من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها **واما السنا**
فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دوا شريف مامون الغايلة قريب
من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفرا والسودا
ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة **ومن خاصيته**
النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج
يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة بالماء والشربة

من

من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت فقيل
هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سودا على السمن وقيل
حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه
الرازيانج وقيل الشبث وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق
السمن **قال** بعض الاطبا وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب
اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح
من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على
الاسهال ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود وهو الذي
اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون **روى** ابو داود عن سعد
قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني
فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال انك رجل
مفؤود فات الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب فلياخذ
سبع تمرات من عجوة المدينة وحب جاورهم والتمر فليجاهن بنواهن ثم ليلدك
الفؤاد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة
ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم والدود ما يسقاه
الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الدا سيما
تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية اخرى تدرك بالوحي
وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره
في ذلك اليوم سم ولا سحر **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم**

لدا ذات الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي
فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب **وفي الترمذي** من حديث
زيد بن ارقم **قال** صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط
البحري والزيت اعلم ان وجع ذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشا
المستبطن للاعضا وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة
تحتقن بين الصفاقات والعضل الذي في الصدر والاضلاع فيحدث وجعا
فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطبا قالوا ويحدث
بسببه خمسة امراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض
المنشاري **ويقال** لذات الجنب الحقيقي ايضا وجع الخاصرة وهو من
الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيئ الاسقام
والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي
يداوى به الريح الغليظة **وقد حكى** الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال
العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الاعضا الباطنة ويطرد
الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد
للدماغ **قال** ويجوز ان ينفع من ذات الجنب الحقيقية ايضا اذا
كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة **ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم لدا الاستسقا** عن انس
قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها

فلما

فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم فاخذوا فقطع ايديهم
وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم
ان الاستسقا مرض عن مادة باردة تتخلل الاعضا فتربو لها اما
الاعضا الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير
الغذا او الاخلاط **واقسامه** ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي
يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضا
وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة ردية يسمع لها عند
الحركة خضخضة كالما في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر الاطبا وطبلي
وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له
صوتا كصوت الطبل وانما امرهم عليه السلام بشرب ذلك لان في
لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان
اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير
ذلك من الادوية النافعة للاستسقا خصوصا اذا استعمل بحرارته
التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان
فان ذلك مما يزيد في ملوحته اللبن وتقطيعه الفضول والاطلاقه البطن
واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان جعفر الناسب
مرض بعد ان راى الشيخ الجليل المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يامره
بهذا الدوا وهو ان ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربا

ويكون ملتوتا بالمصطكا بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز
فيفعل ذلك سبعة ايام فيبري ومرض بعض الناس ببرد المعدة فراي
الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير اليه بهذا الدوا اوقية
من النعناع الاخضر ومن الصعتر نصف اوقية عسل نحل ودرهمين شونيز
ومثلها انيسون ونصف اوقية من النعناع الاخضر ومن القرنفل درهم
ومن القرفا نصف درهم وشي من قشر الليمون مع قليل من الخل وتعقد
ذلك على النار فاستعمله فبري ومرض اخر بسلس الريح فراي الشيخ المرجاني
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدوا شونيز ثلاثة دراهم
ومن خزامي درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله
من السعتر الشامي ومثله من الفلفل ووزن درهم من البلوط وهو ثمرة
الفواد واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من العسل النحل ما يعقد به
وهو ربع رطل ويوخذ منه غدوة النهار وزن درهم على الريق وعند النوم
وزن درهم ونصف فاستعمله فبري ثم انه عليه السلام
بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدوا انه ينفع
لادواء هي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفواد
والم الحيض والم النفاس وللعقد الرياح والزيت المرقي صفته ان تاخذ
شيا من الزيت الطيب وتجعله في انا نظيف وتحركه بعود ويقرا عليه
الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
الى اخر السورة وحصل لاخر قولنج فراي الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه

وسلم

وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين

وسلم نائما يشير بهذا الدوا وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن
درهم ونصف من الزيت المرقي واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع
ثم يقطر عليه ويفعل مثله عند النوم يفعل ذلك حتى يبرا ويعمل له التلبينة
ويستعملها بعد ان يقطر على ذلك والتلبينة حسا يعمل من دقيق او نخاله
وربما عمل فيها عسل نحل ويكون غذاوه مصلوقة الدجاج او لحم الضان
فيفعل فبري بعد ان اعيا الاطبا ومرض اخر بوجع الظهر فشكى
ذلك للشيخ فراي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدوا وهو
عسل نحل وشونيز ودهن الالية والزيت المرقي ودقيق البيضة
ويخلط ذلك كله ويحط على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره
مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق فيفعله فبري
وشكى بعض الناس الدوخة في راسه فراي النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فاشار الي بهذا الدوا قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة الطيب وسنبل
من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل نحل
فاذا قرب استواوه عصر عليه قليل الليمون ويكون عسل النحل غالبا عليه
فيفعله فبري انتهى وهذا وان كان عنا ما فقد عقد عنده التجربة مع ارشاد
الشيخ المرجاني لذلك ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دوا
عرق النسا وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة
فيه من اضافة الشي الى محله قيل وسمي بذلك لانه المه ينسي ما سواه
وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى اخر القدم وراء الكعب ومن

الاولى ان يقال وجوزة ... الجيم
ينبغي ان يقال ... العقب

وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دوا عرق النسا الية شاة
اعرابية تذاب ثم تجزا ثلاثة اجزا ثم تشرب على الريق في كل يوم
جزا رواه ابن ماجة وهذا الدوا خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم
وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة
لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين
وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية
قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها
لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا
تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان تلطفها تغذيه وتكسبها
مزاجا الطف منها ولا سيما الالية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام والخراجات بالبط والبزل يذكر عن علي

رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل
يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه
قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع العروق والكي

روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه
واخرج مسلم عن جابر لما رمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه
النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال

كوابي

كوابي ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الترمذي انه صلى
الله عليه وسلم كوا اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران
ابن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية
ان الذي كان انقطع عني رجع الي يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو
داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا
فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم
مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه
لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثالها
اخر الدوا الكي والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه
مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه
خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة
الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى
لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدفع والثاني كي الجرح اذا فسد
والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي به فان كان الكي لامر محتمل
فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل
الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل
على ان تركه ارجح من فعله ولذا وقع الثنا على تاركه واما النهي
عنه فهو على سبيل الاختيار والتنزيه واما عما لا يتعين طريقا
الى الشفا وقال بعضهم انما نهي عنه مع اثباته الشفا فيه

اما لكونهم كانوا يرون ان يحسم الداء بقطعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا
يبادرون اليه قبل حصول الداء الظهم انه يحسم الداء فيتحمل الذي يكتوي
التعذيب بالنار لامر مظنون **قال** في فتح الباري ولهذا رفي اثر صحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى **وذكره** الحليمي بلفظ روي انه اكتوى
للجرح الذي اصابه باحد **قال** الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة
احد ان فاطمة احرقت حصيرا الخشبة جرحه وليس هذا الكي المعهود
انتهى

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون

قال الخليل الطاعون الوبا **وقال** ابن الاثير الطاعون المرض العام
والوبا الذي يفسد له الهوا فيفسد به الامزجة والابدان **وقال** ابو بكر بن العربي
الطاعون الوجع الغالب الذي يطفي الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله
وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات
بخلاف المعتاد من امراض الناس **وقال** القاضي عياض اصل الطاعون القروح
الخارجة في الجسد **والوبا** عموم الامراض فسميت طاعونا تشبيها بها في الهلاك
وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مولم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله
ويخضر او يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقي **ويخرج**
غالبا في المراق والاباط **وقد يخرج** في الايدي والاصابع وساير الجسد **وقال**
ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا لا يحدث في المواضع الرخوة والمغابن
من البدن واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن او عند الارنبة **وسببه**
دم ردي يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويودي الى القلب

كيفية

كيفية رديه فيحدث القي والغثيان والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الاعضا
الا ما كان اضعف بالطبع واردا ما يقع في الاعضا الرئيسة والاسود
منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوبا
في البلاد الوبية **ومن ثم** اطلق على الطاعون وبا وبالعكس **واما** الوبا فهو فساد
جواهر الهوا الذي هو مادة الروح ومدده **والحاصل** ان حقيقته ورم
ينشا عن هيجان الدم وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غيره ذلك من الامراض
العامة الناشية عن فساد الهوا يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم
المرض او كثرة الموت **والدليل** على ان الطاعون يغاير الوبا ان الطاعون لم
يدخل المدينة النبوية **وقد** قالت عايشة دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله
وقال بلال اخرجونا الى ارض الوبا والطاعون من طعن الجن وانما لم
يتعرض له الاطبا لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف
من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يويد ان الطاعون
انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هوا
واطيبها ما ولانه لو كان بسبب فساد الهوا لدام في الارض لان الهوا يفسد تارة
ويصح اخرى ويذهب احيانا ويجي احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جا سنة
على سنة وربما ابطا سنين وانه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود
بالمشاهدة انه يصيب الكثير ولا يصيب من هو بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو
كان كذلك لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع دون موضع من الجسد لا يتجاوزه
ولان فساد الهوا يقتضي تغيير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في الغالب يقتل

عن ابيه

بلا مرية فدل على انه طعن الجن **حا** في الاحاديث الواردة في ذلك **منها** حديث
احمد والطبراني عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال سالت عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم شهادة **قال شيخ**
الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية تبعا للغريبين للهروي
بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء
من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء المنثورة وقد عزاه
بعضهم لمسند احمد والطبراني او في كتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود
لذلك في واحد منها فالله اعلم انتهى **وفي** الصحيحين من حديث اسامة بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل
على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا
عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه **وقد ذكر العلماء**
في النهي عن الخروج حكما **منها** ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي
يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار لان
المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق
بالعاقل **ومنها** ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض
المذكور او بغيره ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا **ومنها** لو شرع
الخروج فخرج الاقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء **وقد قالوا** ان حكمة
الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب
عليه بخذلانه **وقد جمع** الغزالي بين الامرين فقال الهواء لا يضر من حيث

ملاقاته

ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة
فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد
الذي يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به ويضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحاء
في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فيضيع مصالحهم **ومنها** ما ذكره
بعض الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف امزجة اهله بهواء تلك
البقعة فتالفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن
الصحيحة لم توافقهم بل ربما استنشقوا هواءها استصحب الى القلب من الابخرة
الردية التي تحصل بتكيف بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة
ومنها ان الخارج يقول لو اقمت لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت
فيقع في اللو المنهي عنه **وقال** العارف ابن ابي جمرة البلاء انما يقصد به اهل
البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة
فاينما توجه يدركه فارشدنا الشارع الى عدم النصب **وقال** ابن القيم
جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول الى الارض التي هو بها
فيها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض
التي هو فيها تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه
وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية التي ارشد الله
تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية **واما** نهيه عن الخروج
من بلده ففيه معنيان **احدهما** حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والصبر
والتوكل عليه على اقضيته والرضا **والثاني** ما قاله ائمة الطب انه يجب

ثم قال صلى الله عليه وسلم اياكم واللو فانها تفتح باب الشيطان

على من كان يحترز من الوبا ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذا
ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوبا والسفر منها
لا يكون الا حركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام افضل المتاخرين من
الاطبا فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب
والبدن وصلاحهما انتهى **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم**
من السلعة اخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل
الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله
هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قايم السيف ان اقبض عليه وعنان
الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها
عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجدا ابيض من جمال وكان به
القوبا فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره **ذكر طبه**
صلى الله عليه وسلم من الحما **روى البخاري** من حديث ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحما من فيح جهنم فاطفيوها بالما واختلف في نسبتها
الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله
ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة
من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة **وقيل** بل الخبر ورد مورد
التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر
النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب
من قرب منها من حرها **قوله** فاطفيوها بهمزة قطع اي الاطفا **وروى** الطبراني

الحما الحرارة ان البدن التي تعلو اسطح البدن

امر

ان الحما

اخرج

اي جعل الله اكبر امراض المومن الكامل الحمى

الحما حظ المومن من النار **وفي رواية نافع** عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالما بهمزة وصل
والرا المضمومة على المشهور وحكي كسر الرا **وفي رواية** ابن ماجة بالما البارد
وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني
الحما فاحتبست اياما فقال لي ما حبسك قلت الحمى قال ابردها بما زمزم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الحما من فيح جهنم فابردها بالما او بما زمزم شك قال
قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالما
او باستعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي حمل من قال ان المراد
به انه استشكل عليه استعمال الما البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله
وجها حسنا وهو ان الجزا من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمان
بالما البارد اخمد الله لهيب الحما عنه جزاوفاقا انتهى **وقال** الخطابي
وغيره اعترض بعض سخفا الاطبا على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم
خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي
في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى
العلم فانغمس في الما لما اصابته الحما فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه
فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا
لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث **والجواب**
ان هذا الاستشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له
اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية

فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى
بالما فان اظهر الوجود واقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم
في الما او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد عليه
السلام استعمال الما على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل
الانتفاع به وهو كما وقع في امر العاين بالاغتسال على كيفية مخصوصة
واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسما بنت الصديق رضي الله
عنها فانها كانت ترش على بدن المحموم شيا من الما بين يديه وثوبه فيكون
ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسما التي هي
ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها
وقد ذكرها ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم
فليرش عليه الما البارد ثلاث ليال من السحر **وقال** المازري لا شك
ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون
الشي دواه في ساعة فيصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض
له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا
فرض وجود الشفا لشخص بشي في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفا
به له او لغيره في ساير الاحوال والاطبا مجمعون على ان المرض الواحد يختلف
علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذا المتقدم والتاثير
المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون
من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل
عند

عند ذلك جميع كلام اهل الطب **وجعل** ابن القيم خطابه صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي
تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس
قال وهذا ينفعها الما البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة
غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق
الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة
او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية
وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة **ثم** منها ما يسخن جميع البدن
فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها
الى ثلاث وان كان تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها
بالاعضا الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط
سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية وسوداوية [به]
وبلغمية ودموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب
الافراد والتركيب انتهى **واذا** تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول
فانها تسكن بالانغماس في الما البارد وشرب الما المبرد بالثلج وبغيره ولا
يحتاج الى علاج اخر **وقد قال** جالينوس لو ان شابا حسن اللحم
خصب البدن ليس في احشائه [او جوفه] ورم استحم بما بارد او سبح فيه في وقت القيظ
عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه [لا ينتفع]
وسلم الما البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل

او كيتهن **وفي المسند** وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى
قطعة من النار فابردوها عنكم بالما البارد وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ما فافرغها على راسه فاغتسل وصححه
الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف **وعن انس** رفعه اذا حم
احدكم فليشن عليه من الما البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي
وابو نعيم في الطب **واخرج** الطبراني من حديث عبد الرحمن المرقع
رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الما في الشنان
وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشا قال ففعلوا فذهبت
عنهم **وقد** اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم
الحما وهي قطعة من النار فليطفها عنه يستنقع في نهر جار ويستقبل
جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق نبيك ورسولك
بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس والينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة
ايام فان لم يبرا في خمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا
باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حكة الجسم

وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة
رخص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف
في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في

قميص

قميص من حرير من حكة كانت بهما **وفي** رواية رخص النبي صلى الله عليه
وسلم او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان
الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب
قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي
وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة
وكذا للقمل وما في معنى ذلك **وقال** مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة
عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب
ان الحكمة فيه لخاصية فيه تدفع الحكة **وقال** ابن القيم واذا اتخذ منه
ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن
بتسمينه اياه **وقال** الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من
القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فلابس
الاوبار والاصواف تسخن وتدفي وملابس الكتان والحرير والقطن تدفي
ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب
القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه
ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شي من اليبس والخشونة كغيرها صارت
نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة
فلذلك رخص عليه السلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة **ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من السم** الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوها
قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة **وقد روي**

عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية
اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية (اي مشوية) بخيبر فقال ما هذه قالت (اي اكل)
هدية وحذرت ان تقول صدقة فلا ياكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه
ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم
لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح
منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه ثلاثة على
كاهله وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية
التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفيتها واما بخواصها فمن عدم الدوا
فليبادر الى الدوا الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا او الزمان
حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتتبعه في العروق والمجاري حتى
تصل الى القلب والاعضا فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه
تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم
بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله
او يضعفه **ولما** احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب
الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع
ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله
شرفا وفضلا **النوع الثالث في طبه صلى الله عليه بالادوية**
المركبة من الالهية والطبيعية ذكر طبه من القرحة (وهي البثرة) بلغ
والجرح وكل شكوى (اي بسبب كل شكوى) عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان

كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا — باذن ربنا
وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى
سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري **وفي رواية** لمسلم اذا اشتكى الانسان
او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا رواه البخاري ووضع
سفيان سبابته بالارض الحديث **وقوله** تربة ارضنا خبر مبتدا
محذوف اي هذه تربة ارضنا **وقوله** يشفى سقيمنا ضبط بوجهين
بضم اوله على البنا للمفعول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل
مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية **قال** النووي معنى (صح)
الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب
فعلق بها شي منه ثم مسح به الموضع العليل او الجرح قايلا الكلام المذكور
في حالة المسح **وقال** القرطبي زعم بعض الناس ان السر فيه ان تراب
الارض لبرودته ويبسه يبري الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد
اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق
انه يختص بالتحليل والانضاج وابرا الجرح والورم ولا سيما من الصايم الجايع
وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على
قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته
والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس له
بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسما الله تعالى واثار رسوله
صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية

(حاشية: سميت سبابة لان العرب كانت تشير بها للسب)

في ذلك او لحكمة اخفا اثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة **وقال**
البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية ان للريق مدخلا في النضج وتعديل
المحلو وتراب الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا المزاج صح
انه ينبغي للمسافر انه يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب
مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيا منه في سقايته ليامن
مضرة ذلك **ثم** ان الرقا والعزايم لها اثار عجيبة تتقاعد العقول
عن الوصول الى كنهها **وقال** التوربشتي كان المراد بالتربة
الاشارة الى النطفة كانه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل
الاول من التراب ثم ابتدعته من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت
هذه نشاته **وقال** النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة
لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون
ذلك مخصوصا وفيه نظر **وفي حديث** عايشة عند ابي داود والنسائي
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض
فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح
ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به
السحص المرفي

ذكر طبه عليه السلام من لدغة العقرب

عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا بانا

فيه

فيه ما وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الما والملح ويقرا قل هو الله احد
والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر
رقا صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بما فيه
ملح وهذا الطب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت
الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة
من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة
ابن عامر ان يقراهما عقب كل صلاة رواه الترمذي ففي هذا اسر عظيم
في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون
بمثلهما واما الما والملح فهذا الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم
ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم
ويحللها ولما كانت في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل
صلى الله عليه وسلم الما والملح لذلك ذكر الطب من النملة بفتح
النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب وسميت نملة لان صاحبه تحس في مكانها
كان نملة تدب عليه وتعضه **وفي** حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه
وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة **وروى الخلال** ان الشفا
بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت
ارقي في الجاهلية من النملة واريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت
بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف

اي قل هو الله احد والمعوذتين

ومما يبرد اللدغة قتل العقرب واخراج ما في بطنها ووضعه على مكان اللدغة فيزهبها لوقتها ذكر ذلك سيخنا اللقاني

الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة **ذكر طبه عليه السلام من البثرة** روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال لها عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين اصبعين من اصابع رجليه ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفيت **ذكر طبه عليه السلام من حرق النار** روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي ويتفل **ذكر طبه عليه السلام بالحمية** وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الما لانه يضره كما وقعت الاشارة الى ذلك في اول هذا المقصد وقد قال بعض افاضل الاطبا راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتدا المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة وفي سنن ابن ماجة

عن

[library stamp]

عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال يا رسول الله ادن وكل فاخذت تمرا واكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضر به التمر وعن ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجيت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجة وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكله من الدوالي لان الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ما الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من ابلغ الادوية قبل الدا تمنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي ان نعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشي اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة

ويدفعه من الداء ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد
على تناول التمرات اليسيرة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني
حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع
صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وكان
نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك
بالعكس **ذكر حمية المريض من الماء** عن قتادة بن النعمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم
يحمي سقيمه الماء قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا
لو ان الناس اقلوا من شرب الماء لاستقامت ابدانهم وللطبراني في الاوسط
عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت قوته وفيه
محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف **ذكر طبه من الماء المشمس** بلغ
خوف البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني
هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ضعيف وكذا اخرجه العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي
عن عمر فعلى هذا يكره الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا
شروطا ان يكون في البلاد والاوقات الحارة دون الباردة وفي
الاواني المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما واستثني
النقدان لصفائهما وقال الشيخ ابو محمد الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح

ولا

ولا يكون المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون الاستعمال
في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة
في الاصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب
التهذيب كما قاله الجيلي ان يكون راس الاناء منسدا لتحبس الحرارة وفي
شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها قال في شرح التنبيه
ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا بالكراهة
فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف
الاذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله
واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني
في البحر عن النص **ذكر الحمية من طعام البخلاء** عن عبد الله بن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخياء
شفاء رواه التفليسي روى ابو داود في المراسيل عن مالك في غير الموطا
كما ذكره عبد الحق في الاحكام **ذكر الحمية من الكسل**
روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن
انه راه مضطجعا في الشمس فقال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين
ذكر الحمية من البواسير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه حقن خلاء فانه يكون منه البواسير
رواه ابو احمد الحاكم ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب

باعماس الثاني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
وقع الذباب في انا احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه
شفا وفي الاخر دا رواه وفي رواية ابي داود فانه يتقي (اي يسقط) بجناحه الذي فيه
الدا فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويوخر الشفا
وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفا بالبعض قال شيخ
شيوخنا لم يقع لي في شي من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفا من غيره
لكن ذكر بعض العلما انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن
هو الذي فيه الشفا واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون
ليلة والذباب كله في النار الا النحل وسنده لا باس به قال الحافظ كونه
في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد من العفونة
ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس
واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبدا خلقه منها ثم من التوالد وهو
اكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة اليوم على الانثى وحكي
ان بعض الخلفا سال الشافعي لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك
وكانت الحت عليه ذبابة قال الشافعي سالني ولم يكن عندي جواب
فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة رحمة الله عليه ورضوانه

التوالد يكون بالابوين والتولد يكون بلا ابوين
اي الاذلال بذبابه الملوك

ذكر امره صلى الله عليه وسلم الحمية من الوبا النازل في الانا

في الليل بتغطيته عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
غطوا الانا واوكوا السقا فان في السنة ليلة ينزل فيها وبا لا يمر باناء

لبس

ليس فيها غطا او سقا ليس عليه وكا الا نزل فيه من ذلك الوبا رواه مسلم
في صحيحه قيل وذلك في اخر السنة الرومية

ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقا

(سخيفة العقل او سيئة الخلق) روى ابو داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقا فان اللبن
يشبه وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع
يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة
وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع

واما الحمية من البرد

فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل (اي كاد يقتله) ابا الدردا لكن قال
شيخ الحفاظ لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدردا
عاش بعد النبي دهرا اينى واما ما اشتهر ايضا اصل كل دا البرده
فقال شيخنا رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدار
قطني وغيره في العلل كلهم من طريق تمام ابن نجيح عن الحسن البصري عن انس
رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي
نعيم ايضا من حديث المبارك عن السايب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن
عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم
عن ابي سعيد رفعه اصل كل دا البرده وقد قال الدارقطني
عقب حديث انس من علة عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو
اشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفايق من كلام ابن مسعود
قال الدارقطني عقب حديث انس في كتاب التصحيف قال اهل اللغة

البرده ح

روا المحدثون يعني باسكان الرا والصواب البرده يعني بالفتح وهي التخمة
لانها تبرد حرارة الشهوة اولانها تثقل علي المعدة بطيئة الذهاب
من برد اذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث
حديث الحارث بن فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفئوا
من الحر والبرد وكذا اورد المستغفري مع ما عنده منها حديث
اصل كل دا البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين
في كون المحدثين رووه بالسكون انتهي **الفصل الثاني**
في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرويا يقال عبرت
الرويا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك
واما الرويا بوزن فعلي وقد تسهل الهمزة فهو ما يراه الشخص في منامه
قال القاضي ابو بكر بن العربي الرويا ادراكات علقها الله
تعالي في قلب العبد علي يد ملك او شيطان اما باسمايها اي حقيقتها
واما بكناها اي بعبارتها واما تخليطا **وذهب** القاضي ابو الطيب
الي انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يري نفسه بهيمة او طايرا
مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد
قد يكون علي خلاف المعتقد **قال** ابن العربي والاول اولي
والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل التمثيل فالادراك انما
يتعلق به لا باصل الذات **وقال** المازري كثر كلام الناس
في حقيقة الرويا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة

بلغ

لانهم

لانهم حاولوا الوقوف علي حقايق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان
وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الي الطب ينسب
جميع الرويا الي الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راي انه يسبح
في الما ونحو ذلك لمناسبة الما طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفرا
راي النيران والصعود في الجو وهكذا الي اخره وهذا وان جوزه العقل
وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به
عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الي الفلسفة يقول
ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذي منها
بعض النفوس انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما
لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم
العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل
السنة ان الله تعالي يخلق في النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان
فاذا خلقها فكانه جعلها علما علي امور اخري يخلقها في ثاني الحال ومهما
وقع منها علي خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان **ونظيره** ان الله
تعالي خلق الغيم علامة علي المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات
تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة
الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله **واخرج**
الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر
عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يري الرويا فمنها ما يصدق

ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
عبد ولا امة ينام فيمتلي نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ
دون العرش فتلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش
فتلك الرويا التي تكذب **قال** الذهبي في تلخيصه هذا حديث
منكر ولم يصححه المولف **وذكر** ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو
وجدو
ان رويا المومن كلام يكلمه ربه في المنام والحديث للترمذي في نوادر
الاصول من حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين
وهو من روايته عن شيخه عمر بن ابي عمرو وهو واه **وفي سنده** جنيد
ابن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير
في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
قال ومن وراء حجاب اي في المنام ورويا الانبيا حق وحي بخلاف غيرهم
فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رويا الانبيا فانها قد يحضرها
الشيطان **وقال** الحكيم ايضا وكل الله بالرويا ملكا اطلع على
على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل منها
على قصته مثلا فاذا نام مثل له تلك الاشيا على طريق الحكمة لتكون
له بشرى او نذارة او معاتبة والادمي قد تسلط عليه الشيطان
لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل
طريق فيلبس روياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها **وفي البخاري**
من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرويا الحسنة

من

من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رويا
الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان
منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسليط الشيطان
عليهم **وقد استشكل** كون الرويا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد
انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرويا ان وقعت منه صلى
الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبي
فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز **وقيل** المعنى انها جزء من علم النبوة
لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه
حكاه ابن عبد البر انه سيل ايعبر الرويا كل احد فقال ابالنبوة يلعب
ثم قال الرويا جزء من النبوة **واجيب** بانه لم يرد بانها نبوة
باقية وانما اراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب
لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرويا الصالحة نبوة لان
المراد تشبيه الرويا بالنبوة **وجزء الشي** لا يستلزم ثبوت وصفه
كمن قال لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى موذنا **وفي حديث**
ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات **وعند احمد** من حديث عايشة مرفوعا
لم يبق بعدي من المبشرات الا الرويا **وفي حديث** ابن عباس عند مسلم
وابي داود انه عليه السلام كشف الستارة وراسه معصوب
في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس

انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤية الصالحة يراها المسلم
او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من
الرويا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمومن رفقا
به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له
فان المراة الصالحة كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله
جزء من ستة واربعين جزا من النبوة كذا في اكثر الاحاديث وروى
مسلم من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزا وعنده ايضا
من حديث ابن عمر جزء من سبعين جزا وعند الطبري جزء من ستة
وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد العزيز
ابن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزا ووقع
ووقع في حديث شرح مسلم للنووي وفي رواية عبادة اربعة
وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة اقلها عند النووي
واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها خوف الاطالة
قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها
الا نبي او ملك وانما القدر الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرويا جزء من اجزاء النبوة في الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب
من وجه ما واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة
وقال المازري لا يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا
فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم المراد به جملة

وتفصيلا

وتفصيلا ومنه ما يعلم جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل
وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى لها مناسبة فنقل ابن بطال
عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحى الى نبيه
في المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته
ونسبتها الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزا لانه عاش بعد
النبوة ثلاثة وعشرين سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل
باطل بعيد من وجهين احدهما انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد
بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى حديث السبعين جزءا بغير
معنى وهذا الذي قاله في الانكار في هذه المسئلة سبقه اليه الخطابي
فقال كان بعض اهل العلم يقولون في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد
يتحقق وذلك انه عليه السلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة
وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة
واربعين جزء من النبوة قال الخطابي وهذا وان كان وجها تحتمله
قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت ما ادعاه
خبرا ولم يسمع فيه اثر ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا وكانه قاله
على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا علمه
يلزمنا حجته كاعداد الركعات وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا
نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها ولم يقدح
ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك

مما يطول شرحه **وعن ابي سعيد** عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اصدق الرويا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي **وروى مسلم**
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب
الزمان لم تكد رويا المومن تكذب واصدقكم رويا اصدقكم حديثا
قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان **احدهما**
ان يكون معناه تقارب زمان الليل وهو زمان النهار وهو وقت استوائهما
ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبايع الاربع غالبا قال والمعبرون
يقولون اصدق الرويا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار
والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة
وتعقب الاول بانه يبعده التقييد بالمومن فان الوقت الذي
يعتدل فيه الطبايع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني هو الصواب
واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث
بلفظ اخر الزمان لا يكذب رويا المومن وقيل المراد بالزمان المذكور
زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق
فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فيتقارب اطرافه وقال
القرطبي في المفهم المراد والله اعلم باخر الزمان المذكور في هذا الحديث
زمان الطايفة الباقية مع عيسى بن مريم عليهما السلام بعد قتله
الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر
الاول واصدقهم اقوالا فكانت روياهم لا تكذب ومن ثم قال

المسلم

عقب

عقب هذا واصدقكم رويا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر
صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة
وكذلك من كان غالب احواله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه
فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه ويظلم
فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق
ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى
ملخصا **وعن ابي سعيد** الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا راى احدكم رويا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها
واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها
ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري **وفي رواية** مسلم ورويا
السوء من الشيطان فمن راى رويا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ
بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان راى رويا حسنة فليبشر ولا
يخبر بها الا من يحب **وقوله** فليبشر بفتح التحتانية وسكون الموحدة
وضم المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عند الترمذي ولا يقصها
الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود او ذي راي وفي اخرى
ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا **وفي اخرى** لا تقص الرويا الا على
عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها
والبحث **وحاصل ما** ذكر من ادب الرويا المكروهة **اربعة** اشيا
ان يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب من نومه

[illegible]

ولا يذكرها لاحد اصلا وفي البخاري من حديث ابي هريرة خامسة
وهي الصلاة ولفظه فمن راى شيا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم
فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم
سادسة وهو التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه
اذا راى احدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ
بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال
النووي وينبغي ان يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته
فان اقتصر على بعضها اجزا في دفع ضررها بما صرحت به الاحاديث
وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شي من الاحاديث الاقتصار
على واحدة ثم قال لكن المهلب اشار الى ان الاستعاذة كافية في دفع شرها
انتهى ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لانه اذا قام
يصلي تحول عن جنبه ويبصق وينفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ
قبل القراءة ثم دعا الله في اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها وذكر
بعضهم سابعة وهي قراءة سورة اية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا
فانه اخذه من عموم قوله في حديث ابي هريرة ولا يقربك شيطان
فيتجه قال وينبغي ان يقراها في صلاته المذكورة وحكمة
التفل كما قال القاضي عياض امر به طردا للشيطان الذي حضر الرويا
المكروهة تحقيرا واستقذارا وخصت بها اليسار لانها محل الاقذار
ونحوها والتثليث للتاكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق

قال

قال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض
اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان الا بريق
وقال ابو عبيدة يشترط في التفل ريق يسيرة ولا يكون
في النفث وقيل عكسه وسيلت عايشة عن النفث عن الرقية
قالت كما ينفث اكل الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج
معه من بلة بغير قصد قال وقد جا في حديث ابي سعيد
في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه وقال القاضي عياض وفائدة
التفل التبرك بتلك الرطوبة والهوا والنفث المباشر للرقية الذكر المقارن
الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والاسما وقال النووي
ايضا واكثر الروايات في الرويا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق
فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر
بان المطلوب في الموضعين مختلف لان المطلوب في الرقية التبرك برطوبة
الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان واظهار احتقاره
واستقذاره كما نقله عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل
على التفل فانه نفخ معه ريق لطيف فالنظر الى النفخ قيل له نفث
وبالنظر الى الريق قيل له بصق واما قوله فانها لا تضره فمعناه
كما قال النووي ان الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب
على الرويا كما جعل الصدقة وقاية للمال واما التحول فللتفاول
بتحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرويا الحسنة

ولا يخبر بها الا من يحب لانه اذا احدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا
يحب اما بغضا واما حسدا فقد تقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه
من ذلك حزنا ونكدا فامر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك **وقد**
روي من حديث انس مرفوعا الرويا لاول عابر وهو حديث ضعيف
فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن
ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن ابي رزين العقيلي رفعه الرويا
على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند
حسن عن سليمان بن يسار عن عايشة قالت كانت امراة من اهل المدينة
لها زوج تاجر يختلف في التجارة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان زوجي غايب وتركني حاملا فرايت في المنام ان سارية بيتي
انكسرت واني ولدت غلاما اعور فقال خير يرجع زوجك ان شا الله
صالحا وتلدين غلاما بارا فذكرت ذلك ثلاثا فجات ورسول الله صلى الله
عليه وسلم غايب فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت لها لين صدقت
رؤياك ~~لتلدن~~ ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي
فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها مه يا عايشة اذا عبرتم
للمسلم فاعبروها على خير فان الرويا تكون على ما يعبرها
صاحبها **وعند سعيد** بن منصور من مرسل عطا بن ابي رباح
قالت جات امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني رايت
كان جايزة بيتي انكسرت وكان زوجها غايبا فقال رد الله زوجك

اي سارية بيتي

عليك

١٥١

عليك فرجع سالما الحديث **قال** ابو عبيدة وغيره معنى قوله الرويا
لاول عابر اذا كان العابر الاول عالما فعبر واصاب وجه التعبير
والا فهي لمن اصاب بعده اذ ليس المراد الا على اصابة الصواب في تعبير
المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فان اصاب
فلا ينبغي ان يسال عن غيره وان لم يصب فليسال الثاني وعليه
ان يخبر بما عنده ويبين ما جهل الاول **هكذا قال** وفيه بحث
يطول ذكره **ومن اداب** المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر ابن همام انه
كتب الى ابي موسى فاذا راى احدكم رويا فقصها على اخيه فليقل خير
لنا وشر لاعدائنا ورجاله ثقات لكن سنده ضعيف منقطع **وفي**
حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل كان لما قص على النبي صلى الله
عليه وسلم رويا قال عليه السلام خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا
وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص روياك وسنده ضعيف
جدا وروايي ان شا الله تعالى **ومن اداب** العابر ان لا يعبرها
عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل
وان لا يقصها على امراة **لكن ثبت** انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
صلى الغداة يقول هل راى احد الليلة رويا فيقص عليه ما شا الله
ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير
الرويا بعد صلاة الصبح **قالوا** وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه
عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال

اي النبي امران يكتب الى ابي موسى ٢

الحديث م

٢ قال بعضهم لا ينبغي ان يعبر في جميع الاوقات التي يكره فيها الصلاة لان الشيطان له سلطان فيها

لا تقصصه وبان على امراة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس **وفيه**
اشارة الى الرد على من قال من اهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير
من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى قبل الغروب فان
الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم
بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة الصلاة **قال** المهلب تعبير الرؤيا
عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب
عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة
شغله بالفكر فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب
رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتاهب لذلك فربما كان في
الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا لامر فيكون
له مترقبا **قال** فهذه عدة فوايد لتعبير الرؤيا اول النهار
قاله في فتح الباري **وذكر** ابن قتيبة التعبير ان من اداب الرائي ان يكون صادق
اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرا عند نومه
والشمس والليل والتين وسورتي الاخلاص والمعوذتين وان يقول
اللهم اني اعوذ بك من سيء الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان
في اليقظة والمنام اللهم اني اسالك رؤيا صالحة صادقة نافعة
حافظة غير منسية اللهم ارني في منامي ما احب وان لا تقصها غير منسية
على عدو ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المرائي تنحصر في قسمين
اضغاث احلام وهي لا تنذر بشيء وهي انواع **الاول** تلاعب الشيطان

يحزن

ليحزن الرائي كان يرى انه قطع راسه وهو يتبعه او يرى انه واقع في
هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك **وروى** مسلم عن جابر جاء اعرابي
فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا اتبعه فزجره صلى الله
عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام **الثاني**
ان يرى ان بعض الملايكة يامره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال
عقلا **الثالث** ما يحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه فيراه كما هو
~~في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة او يتمناه كما هو~~
في المنام **وكذا** رؤية ما جرت عادته في اليقظة او ما يغلب على مزا جه
وتقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعن الماضي قليلا **القسم**
الثاني الرؤيا الصادقة وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين
وقد يقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت
في النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة
التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد **قالت عايشة** اول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري **وفي**
رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة الى امور الاخرة
في حق الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة في الاصل
اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صا لحة
وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد

فانه صلى الله عليه وسلم راى بقرا تذبح وراى في سيفه ثلما اي قطعا فاول البقر
ما اصاب اصحابه يوم احد والثلم الذي في سيفه برجل من اهل بيته
يقتل وهو حمزة ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على
الخلق اجمعين واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص
مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير
القادري الرويا الصادقة ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام او يخبر به
من لا يكذب والصالحة ما فسر والله اعلم واعلم ان الناس في الرويا
على ثلاث درجات الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وروياهم
كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير والصالحون والاغلب
على روياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج الى تعبير ومن عداهم
يقع في روياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام
مستورون فالغالب استوا الحال في حقهم وفسقة والغالب
على روياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في روياهم
الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم واصدقهم رويا
اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد وقعت
الرويا الصادقة من بعض الكفار كما في رويا صاحبي السجن مع يوسف
عليه السلام ورويا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام احمد
مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث ابي سعيد اصدق الرويا بالاسحار
وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري ان الرويا اول الليل يبطي

تاويلها

لانهما من حلية النسا عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس له وايضا ففي
كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وايضا ففي
الذهب مشتق من الذهاب فعلم انه شي يذهب عنه وتاكد ذلك بالاذن
له في نفخهما فطارا فعرف انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي
جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي فاول الرويا عليهما ليكون ذلك
اخراجا للمنام عليهما فان الرويا اذا عبرت خرجت ويحتمل ان يكون بوحي
والمراد بخزاين الارض التي ذكرها ما فتح على امته من الغنايم ومن ذخاير كسرى
وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض الذهب والفضة وقال
القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النسا ومما حرم
على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل
لهذه الرويا ان اهل صنعا واهل اليمامة كانوا اسلموا وكانوا كالمساعدين
للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما
الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان البلدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة
الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسما الذهب
وقال اهل التعبير من راى انه يطير فان كان الى جهة السما بغير تعريج
نالة ضرر فان غاب في السما ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان
يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك رويته
عليه السلام المراة السودا الثايرة الراس وتعبيرها بنقل

وبا المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سودا ثائرة الراس خرجت
من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وبا المدينة
نقل اليها وهذا من قسم الرويا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه
التمثيل انه شق من اسم السودا السو والدا فتاول خروجها بما جمع
اسمها وتاول من ثوران شعر راسها ان الذي يسو ويثير الشر
يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل شي
غلبت عليه السودا في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران
الراس يوول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما
من السودا فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رويته عليه السلام
انه في درع حصينة وبقرا تنحر وتعبيرها روى ابو موسى عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب
وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها بقرا
والله خير فاذا هم النفر من المومنين يوم احد واذا الخير ما جا الله به
من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري
ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة
المدينة والبقر نفرا وهذه اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح الموحدة
وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جابيا في حديث

ابن

ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من طريق ابي
الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد
واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم
الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك ~~وندامتهم على~~
وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل
وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر واتم منه
وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد
بقوله واذا الخير ما جا الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله
بعد بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جا الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب
المومنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخبر
والله خير من جملة الرويا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر
ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول
البقر على من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب
الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد
بالبعدية على هذا لا يختص ما بين بدر واحد ومن ذلك رويته عليه
السلام انه اتي برطب روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يرى النايم كانا في دار عقبة
ابن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا
والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رويته عليه

يا روي بر

في صه

السلام سيفا يهزه وتعبيره في حديث ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه
وسلم قال ورايت رويا اني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو
ما اصيب به المومنون يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن مما كان فاذا
هو ما اصيب به المومنون حجا الله به من الفتح واجتماع المومنين رواه
الشيخان وهذا ايضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه وسلم
يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن
القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستوا
عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يصرف
على اوجه منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا واما ولاية واما وديعة
واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده فان كانت حاملا سلمت زوجته واصيب
ولده وان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا
فكذلك وقايم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوي
الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده في خصومة
وربما عبر السيف بسلطان جاير وقال بعض اهل التعبير ايضا
من راى انه اغمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط
لسانه فيه ومن راى انه يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلب
ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا
لم يدم امره ومن ذلك رؤيته عليه السلام على قليب عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله وسلم قال بينا انا نايم رايتني على قليب وعليها

و ٢ب بهزه

دلو

Copyright © King Saud University